ISSN 1016 - 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

العددان الثالث والرابع [٧١ - ٧٢]

السنة الثامنة عشرة / رجب - ذو الحجّة ١٤٢٣ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* *الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .*
* *الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة .*
* *ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية ، وليس لأيّ أمر آخر .*
* *النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها ، أو بإعادته إلىٰ أصحابه .*

المراسلات : تعنون باسم : هيئة التحرير .
دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ٩ ـ پلاك ١ و ٣
هاتف : ٥ ـ ٧٧٣٠٠٠١ ـ فاكس : ٧٧٣٠٠٢٠ .
البريد الألكتروني : *e-mail : turathuna@rafed.net*
ص . ب . ٩٩٦ / ٣٧١٥٦٥٣٧٧١ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .

تراثنا .
العددان : الثالث والرابع [٧١ ـ ٧٢] السنة الثامنة عشرة / رجب ـ ذو الحجّة ١٤٢٣ هـ .
الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
الكمّيّة : ٢٠٠٠ نسخة .
الفلم والألواح الحسّاسة : تيزهوش ـ قم .
المطبعة : ستاره ـ قم .
قيمة الاشتراك السنوي في نشرة **تراثنا** ٤٠٠ تومان في إيران ، و ٢٥ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

الأرض
والتربة الحسينية

تأليف

العلّامة محمّد الحسين كاشف الغطاء قدس سره

(١٢٩٤ ـ ١٣٧٣ هـ)

تحقيق

رباح كاظم الفتلي

مقدّمة التحقيق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا محمّد خير الأنام، وعلىٰ آله الطيّبين الطاهرين، وعلىٰ أصحابه الكرام.

أمّا بعد..

لقد أجمعت الأُمّة علىٰ أنّ أفضل مكان للسجود هو الأرض؛ بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[1].

وهو محلّ اتّفاق؛ لقولَي الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «السجود علىٰ الأرض أفضل؛ لأنّه أبلغ في التواضع والخضوع لله عزّ وجلّ»..

و: «السجود علىٰ الأرض فريضة، وعلىٰ غير الأرض سُنّة»[2].

وهنا يلاحظ أنّ الجميع ـ بدون استثناء ـ متّفقين علىٰ أنّ السجود علىٰ الأرض هو الأفضل.

---

(١) آنظر: صحيح البخاري ١/١٤٩ ح ٢ وص ١٩٠ ح ٩٨، صحيح مسلم ٢/٦٣ ـ ٦٤، سُنن الترمذي ٢/١٣١ ح ٣١٧، سُنن أبي داود ١/١٢٩ ح ٤٨٩، سُنن النسائي ٢/٥٦، مسند أحمد ٢/٢٤٠ و ٢٥٠.

(٢) الوسائل ٥/٣٦٧ ح ١ و ٢ باب ١٧ استحباب السجود علىٰ الأرض.

ولكن عندما نلاحظ مناخ الجزيرة العربية آنذاك، وما تحمله من الطقس الحارّ وآرتفاع درجات الحرارة والجفاف الذي كان يسود أجواؤها، ممّا يعني صعوبة السجود علىٰ رمضائها، حاول كثير من الصحابة إيجاد منفذ للتخلّص من السجود علىٰ هذه الأرض الحارّة، فكان أكثر الصحابة يحتفظون بأشياء مرتبطة بطبيعة الأرض، فبدؤوا بأخذ الحصىٰ والاحتفاظ به لحين موعد صلاتهم؛ وذلك لدفع الضرر الحاصل من السجود علىٰ الأرض الساخنة، لذا أصبحت هي البديل في سجودهم، وقد صرّح بذلك كثير من الصحابة، منهم: جابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وغيرهم..

فقد قال جابر بن عبدالله: «كنت أُصلّي الظهر مع رسول الله ﷺ فآخذ قبضة من الحصىٰ ليبرد في كفّي أضعها لجبهتي أسجد عليها لشدّة الحرّ»[1].

وقال أنس بن مالك: «كنّا نصلّي مع رسول الله ﷺ في شدّة الحرّ فيأخذ أحدنا الحصباء في يده، فإذا برد وضعه وسجد عليه»[2].

وعن ابن عمر: «مُطرنا من الليل فخرجنا لصلاة الغداة، فجعل الرجل يمرّ علىٰ البطحاء، فيجعل في ثوبه من الحصباء فيصلّي عليه...»[3].

فثبت لنا هنا أنّه يمكن أن نأخذ شيئاً من الأرض شرط الطهارة بديلة لها، وتكون حاضرة معنا في حلّنا وترحالنا؛ والكلّ يعلم أنّ الحصىٰ

---

(١) راجع: مسند أحمد ٣/٣٢٧، المستدرك علىٰ الصحيحين ١/٣٠٩ ح ٧٠١؛ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، وأقرّه الذهبي في **التلخيص**، السُنن الكبرىٰ ٢/١٠٥؛ وفيه: قال الشيخ: ولو جاز السجود علىٰ ثوب متّصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصىٰ في الكفّ، ووضعها للسجود عليها.

(٢) السُنن الكبرىٰ ٢/١٠٦.

(٣) السُنن الكبرىٰ ٢/٤٤٠.

والحجر والرمل هي من مسمّيات الأرض أيضاً، ويصحّ للمسلم السجود عليها.

وقد ذكر ابن سيرين أنّ (مسروق بن الأجدع) كان يأخذ في أسفاره لبنة يسجد عليها[١].

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنّه كان يؤتىٰ بتراب فيوضع علىٰ الخُمرة[٢] فيسجد عليها[٣].

من هنا تتّضح الصورة؛ إذْ لم يكن عمل (التربة) وليدة العصور المتأخّرة، بل كانت منذ الصدر الأوّل للإسلام.

إنّ الأصل واحد في كلّ المذاهب، ولكن من دوّن السُنّة والتاريخ، وكتب في مجال الفروع والأُصول حاول أنْ يُجزّئ بعض المفاهيم العقائدية، ويصوّرها حسب الهوىٰ، بل ربّما حسب الوضع السائد آنذاك لمصلحة فردية يُراد بها الخروج عن مسار النهج الإسلامي.

وإنّ الخوض في مسألة المسجد والسجود، والتعامل معها وفق الشروط والمفاهيم التعبّدية التي جاءت بها السُنّة النبويّة؛ صعبة التطبيق في عالمنا الحاضر؛ بسبب قلّة الوعي الفقهي.

ولكي تكون هنالك فريضة متكاملة علينا أن نفهم أنّ الأُسس والقواعد التي تمّ تأسيسها منذ بداية البعثة النبويّة وإلىٰ يومنا هذا هي نفسها، ولم يتمّ تغيير ولو جزء بسيط لمفهوم هذه الفقرة أو تلك، ولكن

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة ٢/١٧٢ ح ١ و ٣.

(٢) الخُمرة: حصير صغير من سعف النخل يُتّخذ للصلاة؛ انظر: لسان العرب ٤/٢١٣ مادّة «خمر».

(٣) إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري ٢/٤٨.

بقي السؤال عالقاً في أذهان الكثير: لماذا نبحث مثل هكذا موضوع، ونحن نعلم أنّ الأرض هي أساس الطهارة؟

فهنا يجب أنْ نجد بديلاً للتراب؛ لأنّ الحياة قد اختلفت كثيراً وتطوّرت بسبب متطلّبات العيش، وسهّل هذا التطوّر الكثير من الأُمور، وآختلف فيها الكثير ـ والاختلاف واضح كما مرّ آنفاً ـ ولكن ليكتمل نصاب قضية ما ـ خصوصاً ونحن في هذا البحث ـ يجب إيجاد محلّ طاهر لوضع الجباه عليه حين السجود دون الابتعاد عن مسمّىٰ التراب، وهذا لا يكتمل إلّا أن نأخذ من التراب نفسه ونعمل منه شيئاً يحافظ بدوره علىٰ الصفات التي تتمتّع بها الأرض، فبدأ ظهور الألواح الطينيّة الطاهرة، والتي تسمّىٰ في عصرنا الحاضر: «التُربة».

وهنا يبدأ الحوار: لماذا تمّ اختيار التراب، دون سواه، لكي تكون تربته صالحة لعمل هذه التربة؟ وأيّ تراب يمكن أن نعمل منه هذه الأقراص؟

قد يقال: لماذا صُنعت هذه الأقراص، وقد كان رسول الله ﷺ يسجد علىٰ الحصير، وتارةً يسجد علىٰ الخُمرة، وتارةً يباشر الأرض بجبهته الشريفة[1]؟

ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يسجد علىٰ الفراش أو السجّاد، والبسط المنسوجة من الصوف والوبر والحرير وأمثالها، فليس هنالك دليل يسوّغ السجود عليها، بل الأدلّة بخلاف ذلك؛ لأنّ الغاية منه هو الخضوع

---

(١) آنظر: صحيح البخاري ٢/٢٢٣ ح ٢٤٢، سُنن الترمذي ٢/١٥٣ ح ٣٣٢، مسند أبي يعلىٰ ١٢/٣١١ ح ٦٨٨٤ وص ٤٤٨ ح ٧٠١٨، المعجم الكبير ٢٣/٣٥١ ح ٨٢١ و ٨٢٢.

والتذلّل لله تعالىٰ، ولا سيّما أنّ الصلاة هي عماد الدين.

وقد قيل للإمام جعفر الصادق عليه السلام: أخبرني عمّا يجوز السجود عليه وعمّا لا يجوز؟

قال عليه السلام: لا يجوز السجود إلّا علىٰ الأرض، أو علىٰ ما أنبتت الأرض إلّا ما أُكل أو لبس.

فقال له: جعلت فداك، ما العلّة في ذلك؟

قال عليه السلام: لأنّ السجود خضوع لله عزّ وجلّ، فلا ينبغي أن يكون علىٰ ما يُؤكل ويُلبس؛ لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله عزّ وجلّ، فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده علىٰ معبود أبناء الدنيا الّذين اغترّوا بغرورها، والسجود علىٰ الأرض أفضل[1].

إذاً لا يمكن السجود علىٰ ما مرّ ذكره إلّا علىٰ الأرض، أو ما أنبتت غير مأكول أو ملبوس.

وكثير ممّن يحاول أن يدسّ السمّ ويكفّر المذهب الشيعي يقول: إنّ الشيعة يعبدون شيئاً يسجدون عليه!

ونقول: إنّ الشيعة في سجودهم يسجدون علىٰ قطعة من تراب طاهرة، ولا يسجدون لها، حسب المفهوم الخاطئ، وليس كلّ مسجود عليه معبوداً، وإلّا لكان الساجد علىٰ السجّاد عابداً له.

علماً بأنّ الشيعة لم تعدّ السجود علىٰ التربة من واجبات صلاتهم، والدليل علىٰ ذلك سجودهم في الحرم المكّي، أو مسجد الرسول، علىٰ أرضيتهما المقدّسة، والأرضية هذه مفروشة بالبلاط، وكما قلنا سابقاً تعدّ

---

(١) علل الشرائع ١/٣٧ ح ١ باب ٤٢.

من مسمّيات الأرض ؛ فيجوز السجود عليها .

وبعد هذا المطاف نعود ونقول : أهنالك مانع بأن نصنع بديلاً لتراب الأرض تتواجد فيها صفات الطهارة كافّة ، ويكون سبباً لاطمئنان المسلم بصحّة سجوده في صلاته ؟!

والجواب : لا مانع من ذلك ؛ ولهذا وجدت «التربة الحسينية» ؛ إذ أنّها بما تحمله من قدسية الأرض المأخوذة منها من ناحية ، وآجتماع الشروط التعبّدية فيها من ناحية أُخرىٰ ، صارت البديل الأمثل لتراب الأرض .

ولو تمعّن المسلم لوجد أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ذكر هذه التربة في أكثر من مورد ، وقد أقبل بها جبرئيل ، وأخبره بأنّ ابن ابنته يقتل بها ، وقد أعطىٰ الرسول هذا التراب إلىٰ أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة وصرّته ، كلّ هذا ذكره أصحاب التواريخ والسير[1] .

إذاً لماذا لا تكون لهذه الأرض قدسيّة خاصّة ؟! وما المانع لو جُعل منها شيء يبقىٰ علىٰ مدىٰ التاريخ ، مذكّراً بما جرىٰ لعترة الرسول من بعده في طفّ كربلاء ، ويكون شاهداً وحاضراً للأجيال علىٰ مرّ السنين ، لكي تبقىٰ هذه الجريمة البشعة عالقة في الأذهان ، والتي ارتكبت في فترة مظلمة من تاريخ الأُمّة الإسلامية .

إنّ العلّامة كاشف الغطاء قدس سره قد أحاط بالموضوع من جميع جوانبه ، وجعل طرحه مبنيٌّ علىٰ الأُسس والقواعد العلمية والفقهية ، متعرّضاً لمفهوم

---

(١) مسند أحمد ١/٢٤٣ وص ٢٨٣ وج ٣/٢٤٢ ، و٣/٢٦٥ وج ٦/٢٩٤ ، المعجم الكبير ٣/١٠٨ ـ ١١٠ ح ٢٨١٩ ـ ٢٨٢٢ ، العقد الفريد ٣/٣٦٨ ـ ٣٦٩ ، دلائل النبوّة ٦/٤٦٨ ـ ٤٧٠ ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ : ٢٣١ ـ ٢٣٤ ح ١ ـ ٦ . . وسيأتي تمام البحث في صفحة ٣٥٢ وما بعدها .

الأرض من الجانب العلمي، وتكوين الكواكب السيّارة، وآرتباط بعضها ببعض، إضافة إلىٰ ربط المفهوم العلمي بالمفهوم الفقهي، وبالنتيجة ظهر هذا الأثر القيّم؛ ليكون دليلاً واضحاً لمَن أراد أن يفهم ويدرك هذه الحقيقة.

حياة المؤلّف[١]

مولده ونشأته :

ولد الإمام الشيخ محمّد الحسين بن الشيخ عليّ بن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ موسىٰ بن الشيخ جعفر صاحب **كشف الغطاء**، في محافظة النجف عام ١٢٩٤ هـ/١٨٧٦ م .

نشأ بها علىٰ أبيه ، فقرأ مقدّمات العلوم من نحوٍ وصرفٍ ومنطقٍ ومعانٍ وبيانٍ ، وتوسّع في طلب العلوم ، فقرأ كثيراً من العلوم التي ابتعد عن قراءتها كثير من أبناء العرب ، كالهيئة والفلك والحساب والحكمة والكلام ، وتتلمذ في دراسة الفقه والأُصول علىٰ أساتذة عصرهم ، كالإمام اليزدي والخراساني والفقيه ملّا رضا الهمداني ـ صاحب **المصابيح** ـ والسيّد محمّد الأصفهاني ، والشيخ محمّد تقي الشيرازي ، وفي العلوم الأُخرىٰ علىٰ الميرزا محمّد باقر الاصطهباناتي ، والشيخ أحمد الشيرازي ، والشيخ محمّد رضا النجف آبادي ، وغيرهم من مشاهير العلماء المختصّين .

كان ذو شخصية فذّة ، فقد جُمعت فيه كثيراً من النواحي التي عزّ أن تُجمع في فقيه أو في زعيم ديني ، فكان من بيئة دينية أنجبت الفقهاء والعلماء والأُدباء ، كان متواضعاً ، شيّق الحديث ، وفيّاً .

يجمع إلىٰ جانب علميّته ، قوّة البيان العجيبة والقريحة الأدبية اللامعة ، فكان يسترسل في حديثه كأنّه حفظه عن ظهر قلب ، وعندما يكتب فكأنّه

---

(١) اختُصرت من موسوعة شعراء الغري ٨/ ٩٩ ـ ١٩١ .

ينقل شيئاً مسطوراً دون أن يمرّ عليه أو يقرأه ثانياً، وكثيراً ما يملي المقالات ذات الشأن، أو هي موضع المناقشة والاختلاف دون أن يكون لأحد عليه أي إيراد أو نقد.

أُسلوبه وآراؤه:

كان ـ قدّس سرّه ـ يجمع بين قوّة الأُسلوب في التحرير، وعلوّ الكعب في الخطابة والبيان؛ فقد كانت خطاباته وآندفاعاته في التعبير عن القصد كالماء الذي ينحدر من شاهق دون أن يتأمّل في الكلام، وعندما يتكلّم لا يأتي بألفاظ شعبية، فصيح القول، يستحضر الأمثال العربية والكلمات المأثورة، والحديث النبوي الصحيح، ويمتاز بظاهرة بارزة كونه يتذكّر الحوادث البعيدة، ويشخّص الأزمنة البائدة، ويستحضر الوقائع.

مارس حياة طبيعية؛ فقد كان يعطي دروسه في ديوانه، ويقابل الوافدين عليه وذوي المصالح، ويفصل بين المتخاصمين، كان يقرأ ويكتب كثيراً، وكان يؤمُّ الجماعة في الحرم الحيدري، ويخرج منه إلىٰ حلقته العلمية، فيلقي درساً في الفقه، وهو جالس علىٰ المنبر، وقد أحاط به تلامذته الّذين سمح لهم بمناقشته والاستزادة من التوضيح إذا أشكل عليه الأمر، هكذا هي أيام الشيخ قدّس سرّه، وهذه الأعمال لا يستطيع أن يقوم بها الشاب بجسمه القوي، فضلاً عن شيخ، غير أنّه يصدق عليه قول القائل:

وإذا حلّ للهداية قلتَ نشطت للعبادةِ الأعضاءُ

وقد أدخل علىٰ الفقه كثيراً من التطوّر وأوجد كثيراً من القواعد؛ ورسالته الأخيرة التي عنونها بـ: **سؤال وجواب** كفلت في آخرها هذه الآراء،

بالإضافة إلىٰ أنّه كان ينتزع كثيراً من الفروع من ذوق عربي سليم قد آرتكز علىٰ فهم نصوص الأخبار والروايات التي يستنبط منها الحكم الشرعي.

ويمتاز بالجرأة في إعطاء الرأي الذي يراه قد ارتكز علىٰ الحجّة وسانده العقل، في حين أنّ خصومه الّذين قد وقفوا له بالمرصاد كانوا لا يستطيعون مقاومته إلّا بالهمس والتحولق.

ومن آرائه الفقهية السليمة التي عني بها قبل أكثر من أربعين عاماً، فتواه بصحّة الزواج بالعقد الدائم من الكتابية، في حين أن غيره كان لا يقرّه إلّا عن طريق العقد المنقطع، وقد أخذ بهذا الرأي في أواخر أيّامه السيّد أبو الحسن الأصفهاني ﵀، وغيرها من الفتاوىٰ.

والحق أنّ الإمام كاشف الغطاء ﵁ كان أجرأ أهل عصره في إعطاء الأحكام.

وكان يرىٰ منذ أن نشأ أنّ التساوي يجب أن يسود البشر لئلّا يصبح الناس وقد شعروا بالفروق البعيدة، والقبلية الرعناء، فقال في مطلع قصيدة له:

بنو آدم إنّا جميعاً بنو أب ... لحفظ التآخي بيننا وبنو أُمِّ

عهدتكم شتّىٰ الحزازات بينكم ... وما بينكم غير التضارب بالوهمِ

السلوك الاجتماعي:

كان الشيخ ﵁ من العظماء الّذين ارتفعوا في سلوكهم وتواضعهم مع ارتفاعهم عن الوسط الذي يعيشون فيه، فكان يخضع للحجّة، ويؤيّد البرهان، ويؤمن بالمنطق الرزين إذا وجده عند جليسه، وسعة صدره بلغت حدّاً عالياً، فهو يتفاوض مع أيّ إنسان يثق به، فقد صادمه مجتمعه مصادمة

عنيفة، وحاربه فريق من أهل العلم حرباً استمرت زمناً ليس بالقليل، والسر معروف لدىٰ من عاصره.

وكان الذنب الذي يجده خصمه فيه هو أنّه مع كونه أعلم أهل زمانه غير أنّه لا يعطي المال، وينسبون له المثالب عن طريق المغالطة، ويغرون بها العوام فيصطادون جملاً من خطبه ويوجهونها في غير الغرض الذي قيلت فيه..

ومنها: «دينارك كدمك، فاجر دمك في عروقك» وهذه جملة قالها ضمن خطبة ألقاها في مسجد الكوفة عند رجوعه من المؤتمر الإسلامي بفلسطين.

فكانوا يصمونه بالبخل الحادّ، ويسمّمون أفكار الناس عليه، في حين أن اعتداده بنفسه كان قد بلغ الذروة، فهو لا يجد كفؤاً له من الناحية العلمية، كما لم يجد له كفؤاً من الناحية القبلية.

وبهذا تأزّم الوضع علىٰ كثير من المتعاظمين الّذين لم يبق من رصيدهم سوىٰ التغنّي بمجد الآباء، ولكنّه وهو الطود الذي يُلجأ إليه عند الفزع، كان لا يتقاعس عن ردّ أي غائلة تداهمهم، وكلّ حملة تشنّ عليهم من الخصوم، مع أنّ خيرهم لغيره وعِبْأهم علىٰ ظهره، وبهذا كان يُصعد زفراته ويقول: «إنّ ما أُشاهده ليؤكّد لي ما يقصّه التاريخ من شذوذ وظلم من مناصرة البسطاء، وخذلان العلماء، ولست بأوّل قارورة».

مواقفه الوطنية:

لم يشغله التأليف في الدين عن حفظ ثغور المسلمين وكرامتهم؛ بل راح يسعىٰ لحفظها أيضاً..

ففي عام ١٣٣٥ هـ/ ١٩١٦ م ذهب مع السيّد محمّد اليزدي ورعيل من العلماء إلىٰ الكوت للجهاد ضدّ قوات الإنكليز.

وعندما تأسّس الحكم الوطني وتركّز، كان شعوره يماشي الفكرة الوطنية، ويحرص علىٰ إنمائها، ويساند الجيل الذي تيقّظ لمسايرة النهضة الحديثة التي تمثّلت في أفكار وتصميم الملك فيصل الأوّل بفتح المدارس ونشر العلوم وتنوير الأذهان.

وقد وجد الفريق الناهض في شخصه ترحيباً وتشجيعاً، فلمّا أحسّ المستعمر بعواقبه، وتسهيله الصعاب للمواطنين أخذ يبثّ سمومه بإيجاد الفروق الطائفية والعداء بين أفراد الشعب، وفق خطّته المرسومة: (فرّق تسد).

سعىٰ قدّس سرّه للقضاء علىٰ هذا الداء الذي أحسّ به قبل غيره، فكافحه بقلمه السيّال، وروحه الطاهرة، وخطبه الخالدة، وبذلك كان موضع ثقة عقلاء الفريقين الّذين أدركوا الخطر من انتشار هذه الروح.

وفي عام ١٩٣٥ أطفأ فتنة عبد الرزّاق الحصان، التي قام لها الجنوب وعشائره، والمظاهرات التي قامت وٱستمرّت فترة، فكان إطفاؤها علىٰ يده.

كما أطفأ أيضاً ثائرة عشائر الفرات علىٰ أثر استقالة وزارة المدفعي وتشكيل وزارة الهاشمي؛ إذ اجتمع عنده زعماء الديوانية والرميثة والناصرية وسوق الشيوخ لإبرام ميثاق يتضمّن تخفيض الضرائب، والعناية بعمران البلاد، ونبذ الطائفية وإدخال الشيعة في الوظائف.

وفي عام ١٩٥٢ م كان موقفه متميّزاً من المظاهرات التي حدثت في النجف في عهد وزارة نور الدين محمود، والتي أوجبت احتلال النجف من

قبل الجيش الوطني، فكان منشوره وندائه البلسم الشافي للفريقين المتخاصمين.

لم يكن مقتصراً موقفه الوطني على بلده العراق وحسب، بل عبر بإحساسه إلى القضايا القومية؛ فلقد اشترك في الحركات الوطنية مع أحرار سوريا كالشيخ أحمد طبارة، وعبد الكريم الخليل، وعبد الغني العريس، وغيرهم، وكان هذا عند تواجده في ربوع سوريا.

رحلاته:

في عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م سافر إلى حجّ بيت الله الحرام، ومن مكّة توجه إلى دمشق، ومنها إلى بيروت، ومكث في ربوع سوريا ومصر ثلاث سنوات، وآشترك في الحركات الوطنية مع أحرار سوريا.

وفي عام ١٣٣٢ هـ وقبل إعلان الحرب العالمية الأُولى بشهرين تقريباً عاد إلى العراق عن طريق حلب ودير الزور ودخل النجف.

وفي عام ١٩٣١ م عقد المؤتمر الإسلامي في القدس، وبعد دعوات متكرّرة من لجنة المؤتمر توجّه في كانون الأوّل من السنة المذكورة، وآئتمّ به في الصلاة على الطريقة الجعفرية جميع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم ١٥٠ عضواً من أعيان العالم الإسلامي، وخلفهم جمّ غفير من أهالي فلسطين يناهز عددهم ١٢٠ ألف، وكان ذلك ليلة المعراج ٢٧ رجب / ٦ كانون الأوّل في المسجد الأقصى.

وفي ٢٠ تموز عام ١٩٣٣ م ـ أوّل ربيع الأول ١٣٥٢ هـ توجّه إلى إيران عن طريق كرمنشاه، ورجع عن طريق البصرة، وقد مكث بها نحو ثمانية أشهر متجوّلاً في المدن المهمّة يدعو للدين والتمسّك به، ويخطب

باللغة الفارسية كخطيب منهم، وآجتمع مع رضا شاه بهلوي مرّتين متواليتين برغبة من الشاه.

سافر صيف عام ١٣٦٦ هـ إلىٰ (كرند) القرية التي تقع بين كرمنشاه وخانقين قرب حدود العراق، ونزل ضيفاً علىٰ الميرزا حسين احتشامي.

وسافر عام ١٣٦٧ هـ إلىٰ طهران، ونزل ضيفاً علىٰ الحاج حسين ملك التجّار صاحب المكتبة الشهيرة، ومنها توجه إلىٰ خراسان لزيارة الإمام الرضا عليه السلام.

وفي عام ١٣٦٨ هـ توجّه إلىٰ لبنان للمعالجة، ونزل ضيفاً علىٰ الزعيم يوسف بك الزين، ثمّ استضافه أحمد بك الأسعد.

سافر عام ١٣٦٩ هـ إلىٰ خراسان، واجتمع في طريقه بطهران مع الشاه محمّد رضا بهلوي.

وفي ١٢ جمادىٰ الأُولىٰ من عام ١٣٧١ سافر إلىٰ كراجي عن طريق البصرة، ورجع إلىٰ بغداد في ٢٢ جمادىٰ الآخرة.

وفي ١٧ شباط ١٩٥٢ م سافر لحضور المؤتمر الإسلامي في كراجي، وقد لقي حفاوة من حكومة الباكستان، وألقىٰ خطبة خالدة.

أدبه وشاعريّته:

الإمام كاشف الغطاء من أُولئك العلماء القلائل الّذين تفوّقوا في الأدب وسموا في علوم الدين، وقد بدأ النظم بقوله: «إنْ قريحة الشاعر كعين الماء، إنْ استعملت فارت، وإنْ أُهملت غارت».

ومن أشعاره، وصفه لقرية (كرند) حيث هاج إحساسه الأدبي فانطلق يغرّد بقصيدة تعرب عن خواطر عميقة في حياته، نظمها قبل وفاته بعشر

ساعات، منها:

يا بديع الجمال في كلّ قلب ... نور ذاك الجمال أودع حمره
قد سقتنا تلك الشمائل كأساً ... فسكرنا ولم نذق قطّ خمره
إنّ هذا الوجد بحرٌ ولكن ... أين من في الوجود يسبر قعره
ولهذي الأكوان لبّ ولكن ... ما عرفنا حتّىٰ لحاه وقشره
ولهذي الحياة معنىً ولكن ... علّنا بالممات نعرف سرّه

كما برع في فنّ الموشّحات، ونظم الكثير، وكان ذلك في عهد الشباب مجارياً أروع الموشّحات الأندلسية، وفي ديوانه المخطوط فصل خاص فيه مجموعة فاخرة، ونثبت هنا نموذج منها، هو قوله:

غردي بالبشر يا ورق الهنا ... وآرتقي منبر أغصان الكثيب
وآخطبي فيه بأنواع الغنا ... وأخرسي كلّ مغنٍّ وخطيب

وأدر يا ساقي الخمر الكؤوس ... للندامىٰ من عصير الطرب
في معانٍ رقصت فيها النفوس ... بنعيم ليس بالمستلب
أشرقت فيه وللأنس شموس ... وبدت أقداحها كالشهب

ناعس الأجفان ساجي المقل ... حرج الخلخال جوّال الوشاح
أسبل الفرع كليل أليل ... فوق وضّاح جبين كالصباح
إنْ مشىٰ اهتزّ اهتزاز الأسل ... بقوام فيه بدر التمّ لاح

يا خليليّ إلىٰ الكرخ اذهبا ... بي ففي وادي طواها أربي
فوق وجنا خلّفت ريح الصبا ... خلّفها داني الخطا وهو كبي
وإذا ما الليل أرخىٰ الحجبا ... رفعت الخفّ مرخىٰ الحجب

لم يكتفِ قدس سره بهذه الأشعار بل تعدّاها ليرثي الأئمّة المعصومين ، ومن قصيدة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام ، هذا مطلعها :

دع الدنـــيا فـــما دار الفـــناء ... بأهـــل للـــمودّة والصـــفاءِ
متىٰ تـصفو وتـصفيك الليالي ... وقـد كـوّنت مـن طـين وماءِ
تـروقك فـي مسرّتها صباحاً ... وتطرق بـالمساءة فـي المسـاءِ
تـناهىٰ كـلّ ذي أمـل فـهلّا ... لعـينك يـا شـباب مـن انـتهاءِ

وأُخرىٰ قوله :

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ... ولا تحملوا للبرق منّاً ولا السحبِ
ولا تحسبوا نيران وجدي تـنطفي ... بطوفان ذاك المدمع السافح الغربِ
ولا أنّ ذاك السيل يـبرد غـلّـتي ... فكم مـدمع صبّ لذي غـلّة صبِّ

وقصيدة أُخرىٰ :

في القلب حرّ جوىً ذلك توهّجه ... الدمـع يـطفيه والذكـرىٰ تـؤجّجه
أُفدي الأُلىٰ سحراً أسرىٰ بهم ظعن ... وراه حـاد مـن الأقـدار يـزعجه
ركب عـلىٰ جـنّة المأوىٰ مـعرسه ... لكن علىٰ مـحن البـلوىٰ مـعرّجه
مثل الحسين تضيق الأرض به فلا ... يدري إلىٰ أيـن مأواه ومـولجه ؟!

ونقتطف هذه الأبيات من قصيدة طويلة يرثي بـها الإمـام عـليّ بـن الحسـين الأكبر عليه السلام :

هو الوجد **يذكيه** الجوىٰ في الجوانحِ ... فـيجري بـمنهل الدمـوع السـوافـحِ
لآل عـــلـيٍّ يـوم سـيموا بـفادحٍ ... له عـــقمت أُمّ الرزايـــا الفـوادحِ
فسـاروا سـراعاً للـمنايا مـوارحاً ... تـــهبُّ بـــجرد للـطعان مـوارحِ
أهـــابوا إليـــها سـيّداً بـعد سـيّد ... وخـفّوا إليـها صـالحاً إثـر صـالحِ

وله وقفة على تدمر:

عِبر لو وراءهن اعتبارُ ... وآذكار لو ينفع الاذّكارُ
أي آي يتلو لنا غابر الـ ... ـدهر ولكن على العقول غبارُ
كلّ يوم يتلو علينا عظات ... قدمت في حدوثها الأعصارُ
كم على هذه البسيطة من ... حرّ صنع فيه العقول تحارُ
دمّرته الأيام حتّى على (تد ... مر) يأتي الفنا ويقضي الدمارُ

وله قصيدة: «ألا هذه مصر»، وهذه بعض أبيات منها:

هواي إلى مصر ألا هذه مصر ... أعود الرجا ذاوٍ وعود الهوى نضرُ
تمطّى علَيَّ البرّ والبحرُ دونها ... فما عاق عزمي البرّ عنها ولا البحرُ
وقلت لها: يا نفس عزمك والسرى ... وصبرك والحلى وسعيك والعمرُ
أُجشّمها أخطار كلّ مهولة ... تماوت فيها الموت وآنذعر الذعرُ

وله: «بين الغرام والسياسة»:

حاكم جار واستبد ... لا يفي بالذي وعدْ
يشربُ الماء بالروا ... ء ويسقيني الثمدْ
كم سنى لحظة عينه ... وفؤادي له سجدْ
قد أعان العدى عليَّ ... ولم يبقِ لي عددْ

وقال: «العلم سرّ الحياة»:

طبت يا علم مذ تضوّعت نشرا ... فملأت الصدور طيباً وبشرا
بك تحيى النفوس فلتحي إنّي ... لا أرى للحياة غيرك سرّا
قد أنرت الآفاق شرقاً وغرباً ... وسبرت الأكوان برّاً وبحرا

وله: «ساعة الوداع»:

سر على اليمن والشرف ... ودع النفس والكلف

أيُّـــها الظـــاعن الذي أخـذ القـلب وآنـصرف
سـر مـعافىٰ كـما تشـا نـــاعم البـال والكـنف
فـــلك الفـــوز بـــالهنا ولنـــا بـــعدك الأسـف

وقال: «الجمال عذاب»:

سـئمت حـياتي بـهذا النـفق فكـم ذا العـناء وكـم ذا القـلق
يـــقلّبني مـوج هـذي الصـر ف فـــلا للـنجاة ولا للـغرق

وله أيضاً من أشعاره المعروفة: «لامية العرب»:

إلىٰ كم ترامىٰ بي المنىٰ والمنازلُ وتـقذف بـي لجّ المـنايا المـناهلُ
ومـــا لي لا أنـفكّ إلّا مـقسّماً مـقيم لبـانات وجسـمي راحـلُ
ومـا لك يـا قـلبي كأنّك طـاير وما لك في الدنيا سوىٰ الهمُّ طائلُ

وله: «عزمات العرب»، بعثها إلىٰ أمين الريحاني:

يـا عـزمات العـرب البـواسـل هـي لحـلّ هـذه المشـاكـل
قـومي فـلا مـوضع للـقعود أو يسكـن غـلي هـذه المـراجـل
أنت رعـيت المـلك فـي شـبابه حـتّىٰ احـتملته عـلىٰ الكـواهـل

ونختم باب أشعاره بقصيدة: «شعري وشعوري وعواطفي لطائفي»، يقول فيها:

بـــني آدم إنّـا جـميعاً بـنو أب لحـــفظ التآخـي بـيننا وبـنو أُمِّ
رأيـتكم شـتّىٰ الحـزازات بـينكم وما بينكم غـير التـضاربُ بـالوهمِ
فلا حجب فيكم تمدّ علىٰ حجىً ولا حزم مـنكم تشـدّ عـلىٰ حـزمِ
وقـد عـطفتني بـاللطايف نـحوكم عواطف جنس لم تزل علّة الضمِ
فـاهديتكم بـالودِّ نـصحي قـائلاً عليكم سلامي دايباً ولكم سـلمي
وألّفت بين اسمي ورسمي راجـياً حياتها إن بات **تحت الثرىٰ** جسمي

آثاره العلمية :

لقد انتشرت آثاره العلمية في أكثر بقاع الأرض ، منها المطبوع ومنها ما زال مخطوطاً ، وهي متنوعة ، فقد كتب في جميع المجالات العلمية والفقهية والأدبية وغيرها ، وإليك بعضها :

١ ـ **الدين والإسلام** .

٢ ـ **المراجعات الريحانية** .

٣ ـ **أصل الشيعة وأُصولها** .

٤ ـ **الآيات البيّنات** .

٥ ـ **الأرض والتربة الحسينية** ؛ الذي هي موضوع بحثنا .

٦ ـ حاشية على **التبصرة** للعلّامة الحلّي .

٧ ـ **وجيزة الأحكام** .

٨ ـ حاشية على **سفينة النجاة** ، لأخيه .

٩ ـ **سؤال وجواب** .

١٠ ـ **دائرة المعارف العليا** ، مجموع الفتاوى .

١٢ ـ **تنقيح الأُصول** .

١٣ ـ حاشية على **العرشية** و **رسالة الوجود** ، للملّا صدر الدين الشيرازي .

١٤ ـ حاشية على **العروة الوثقى** .

١٥ ـ تعليقات على **سحر بابل** ، ديوان السيّد جعفر كمال الدين الحلّي .

١٦ ـ **العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية** .

١٧ ـ تعليقات على **الفتنة الكبرى**، للدكتور طه حسين.

١٨ ـ مختارات من شعر **الأغاني**.

وغيرها كثير، وليس الغرض هنا أن ندوّن كلّ ما كتبه يراعه الصافي، بل التنويه بمؤلّفاته القيّمة، علماً بأنّ المخطوط منها أكثر من المطبوع، وسيرى النور إنْ شاء الله تعالى.

وفاته:

توفّي في صباح الاثنين ١٨ ذي القعدة ١٣٧٣ في (كرند) ونقل جثمانه إلى بغداد، ومن ثمّ إلى كربلاء، ثمّ إلى مثواه الأخير في النجف، ودفن بمقبرة خاصة له بوادي السلام.

وقد أقيمت على روحه الفاتحة من قبل الأُسرة الكريمة في مسجدهم، وآستمرّت الفواتح إلى يوم الأربعين، كما استمرّت الوفود تتقاطر من مختلف أنحاء القطر، ورثاه الخطباء والشعراء.

هكذا طوى الفقيد صفحة مشرقة بالعظمة، والأعمال الصالحة، والخدمات الإسلامية الجليلة، رحم الله فقيدنا وأدخله فسيح جنّته..

هذه الرسالة وسبب كتابتها:

هي بحث في موضوع لا يخصّ الطائفة الشيعية فحسب، وإنّما هو بحث فقهي لكلّ من أراد أن يجد جواباً؛ ليقف على حقيقة ثابتة في هذا المجال..

فقد تطرّق فضلته إلى حقائق ثابتة، متوسّعاً في بحثه هذا عن مطلق الأرض، وما تحويه من خيرات، وتحدّث أيضاً عن قدسية هذه الأرض

بنحو فلسفي وديني وأدبي وتاريخي، حتّىٰ وصل إلىٰ قدسية تربة معيّنة في أرض مقدّسة، تكلّم عنها الأنبياء وخصّوها بخصائص دون غيرها.

وقد كُتب هذا البحث بناءً علىٰ طلب الأديب أحمد بدران، الذي يعمل مترجماً في مديرية الميناء في البصرة؛ إذ كتب رسالة إلىٰ سماحته يخبره فيها عزم بعض المستشرقين الإنجليز تأليف دائرة معارف كبرىٰ يضمّنها المنقول والمعقول، وهو يريد تاريخاً حقيقياً شاملاً لجميع نواحي التربة الحسينية لدرجه في دائرة المعارف هذه، ويريد أن تتّضح لديه فكرة سجود الإمامية علىٰ هذه التربة، وتزويده بما يحتاج من معلومات عن تاريخ هذه التربة الحسينية، وكيف نشأت؟ وهل كان لها تاريخ من قبل؟ وغيرها من التساؤلات، وكان قد استشار ـ قبل ذلك ـ فضيلة السيّد عبّاس شبّر الحسيني في مَن يتمكّن من تلبيه طلبه، فأشار عليه بمراسلة سماحته في الموضوع..

وكان السيّد عبّاس شبّر قد كتب رسالة إلىٰ سماحة العلّامة الشيخ يعلمه بطلب الأديب المترجم، ويطلب منه إنجاز هذا البحث الفقهي.

وردت نصوص هذه الرسائل جميعها في طبعة الكتاب المعتمدة في التحقيق، وهي طبعة مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت/لبنان سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

أُسلوب التحقيق:

لقد طبعت هذه الرسالة أربع مرّات من قبل، وكانت في كلّ مرّة تطبع علىٰ ما كانت عليه، ولا تعدو كونها نسخة واحدة يتكرّر طبعها، ولم يتمّ تحقيقها، وقد وفّقنا الله تعالىٰ لأن نقوم بتحقيقها وفق الأسلوب الحديث،

فـقمنا بـتقطيع النـصّ وتـقويمه، وتـخريج الآيـات الكـريمة والأحـاديث الشريفة، وترجمة بعض الرجال، الّذين وردت أسماؤهم في المتن.

يضاف إلىٰ هذا فقد تمّ تصحيح الأخـطاء المـطبعية والإمـلائية قـدر المستطاع، ووضعنا ما أضفناه بين معقوفين [ ].

وفي الختام نقول: إنّ الكمال لله من قبل ومن بعد، ولأهله.

اللّهمّ وفّـقنا لمـرضاتك، ويسّـر أمـرنا، وآحشـرنا مـع الصـالحين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وإليك نصّ الرسالة التي سطّرها يراع تميّز بالصدق وقول الحقيقة.

رباح كاظم الفتلي

دمشق ـ السيّدة زينب عليها السلام

٢٠ جمادىٰ الآخرة ١٤٢٣ هـ

مولد السيّدة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

[تمهيد:]

يقول الله جلّ شأنه في قرقانه المجيد: **﴿وكأيّن من آيةٍ في السماواتِ والأرضِ يمُرّون عليها وهُم عنها مُعرضُونَ﴾**[1].

حقاً إنّ من أعظم تلك الآيات التي نمرّ عليها في كلّ وقت، وعلىٰ كلّ حال هي هذه الأرض التي نعيش عليها، ونعيش منها، ونعيش بها، ومنها بدؤنا وإليها معادنا، منها بدأكم وإليها تعودون[2].

لا نزال نمشي علىٰ الأرض، ونثير ترابها في الحرث والنسل، ونقلّبها للغرس والزرع، ونتقلّب عليها للضرع والمرع، ونزاولها في عامّة شؤون الحياة، ولا تزال تدرّ علينا بخيراتها وبركاتها.

ونحن ساهون لاهون، وعن آياتها معرضون، غافلون عمّا فيها من عظيم القدرة، وباهر الصنعة، ودلائل العظمة والقوّة.

هذا التراب الذي قد نعدّه من أحقر الأشياء وأهونها، والذي هو في

---

(١) سورة يوسف ١٢: ١٠٥.

(٢) إشارة لقوله تعالىٰ: **﴿وادعُوه مُخلصينَ له الدينَ كما بدأكُم تعودُونَ﴾**. سورة الأعراف ٧: ٢٩.

رأي العين شيء واحد، وعنصر فرد، كم يحتوي علىٰ عناصر لا تُحصىٰ، وخواص لا تتناهىٰ، تنثر فيه حَبّ القمح مثلاً، فيعطيك أضعافاً من نوعه، وتنثر فيه الفول والعدس وأمثالهما من القطانيات[1] المختلفة في الطعوم والخواص، فتعيدها إليك مضاعفة مترادفة.

وتغرس في نفس ذلك التراب نواة النخل، وبذرة الكَرْم، وأقلام التين والتفاح، وأمثالها من الفواكه، فتثمر تلك الثمار الشهية المختلفة الأذواق، المتغايرة الخواص.

التراب يخرج لك البطيخ بأنواعه: أصفره وأحمره وأبيضه بتلك الروائح الطبيعية العطرة، وكلّهُ حلو منعش، ويخرج لك الحنظل، وكلّه مُرّ مهلك.

كلُّ هذا والشكل متشابه، والخضرةُ متماثلة، والماء واحد والتربةُ واحدة، كما في القرآن: ﴿ **يُسقىٰ بماءٍ واحد** ﴾[2] والماء ماء، ولمّا يستوي الشجر التراب واحد والمستقىٰ واحد والثمرات والنتائج مختلفة؛ فمن أين جاء هذا الاختلاف العظيم؟!

أليست كلّها عناصر في الأرض يأخذ كلّ واحد من تلك البذور ما يلائمه من تلك العناصر الكامنة في التراب المكوّنة لتلك الثمرة؟!

والأنواع المختلفة لا يختلط واحد بالآخر، ولا يشتبه نوع بنوع.

كلّ ذلك علىٰ نظام متّسق، ووزن متّفق، وعيار معيّن، كلّ فاكهة في

---

١) القطانيات: سمّيت بالقطنية؛ لأنّ مخارجها من الأرض، مثل مخارج الثياب القطنية، وهي الحبوب التي تدّخر، كالحمّص والعدس والباقلاء والترمس والدُخن والأرز، وقيل: ما كان سوىٰ الحنطة والشعير والزبيب والتمر؛ آنظر: لسان العرب ١١ / ٢٣٢ مادة «قطن».

(٢) سورة الرعد ١٣: ٤.

فصلها وموسمها؛ فربيعية لا تدرك في الخريف، وخريفية لا تنضج في الصيف، وصيفية لا توجد في الشتاء.

وأعظم من هذا أثراً وعبراً ما تخرجه الأرض من المعادن؛ انظر إلىٰ هذه المعادن الثمينة، والأحجار الكريمة من الذهب والفضة والياقوت والفيروزج، ونظائرها، هل هي إلّا من التراب، ومن ثمرات الأرض؟!

بل ذكر لي بعض المولعين بالصنعة القديمة (علم الكيمياء) أنّ الإكسير الأعظم الذي يتطلّبه أهل هذا الفن، وبه يحوّلون الفلزّات من واحد لآخر حتّىٰ ينتهي إلىٰ الذهب هو أيضاً من التراب.

ولقد أبدع العارف الرباني محمود الشبستري[1] في رسالته المنظومة **گلشن راز**، حيث يقول فيها:

شعاع افتاب ازجرم أفلاك　　نگردد منعكس جز بر سر خاك

تو بودى عكس معبود ملائك　　از آن گشته تو مسجود ملائك

وملخّص ترجمته: «إنّ الشمس وهي في الفلك الرابع (علىٰ الهيئة القديمة) لا ينعكس شعاعها إلّا علىٰ التراب، ولولا التراب لما كان لأشعة الشمس فائدة وأثر.

---

(١) هو: نجم الدين (سعد الدين) محمود التبريزي (الشبستري) الچبستري المولد والمدفن، وچبستر: موضع علىٰ ثمانية فراسخ من تبريز: صوفي، من آثاره: منظوم فارسي اسمه: **گلشن راز**، فيه أسئلة وأجوبة علىٰ اصطلاح التصوّف، له عدّة شروح، وله من المؤلّفات: **حقّ اليقين في معرفة ربّ العالمين**، في التصوّف، و**سعادة نامه**، و**مرآة المحققين**، وغيرها، توفّي في عام ٧٢٠ هـ.

أنظر: كشف الظنون ٢/ ٩٩٠ و ١٥٠٥، الذريعة ١٢/ ١٨٢ رقم ١٢٠٦ وج ١٨/ ٢٢٦ رقم ١٣٠، أعيان الشيعة ١٠/ ١٠٢ ـ ١٠٣، معجم المؤلّفين ٣/ ٨١٠ رقم ١٦٦٠١.

ثمّ يقول: انعكست فيك صفات معبود الملائك أيُّها الإنسان لهذا صرت محل سجود الملائكة».

نعم، نعود إلىٰ الأرض فنقول: والأرض هي أُمّ المواليد الثلاثة: الجماد، والنبات، والحيوان.

وتحوطها العناية بالروافد الثلاثة: الماء، والهواء، والشمس؛ فهي الحياة وهي الممات، وفيها الداء ومنها الدواء.

وقد تُحصىٰ نجوم السماء، أمّا نجوم الأرض فلا تُحصىٰ.

نعم، لا تُحصىٰ نجوم الأرض، ولا معادن الأرض، ولا عناصر الأرض.

ولا تزال الشريعة الإسلامية قرآنها وحديثها يعظّم شأن الأرض، وينوّه عنها صراحةً وتلميحاً؛ فيقول:

﴿ألم نجعل الأرضَ كِفاتاً * أحياءً وأمواتاً﴾[1].

﴿والأرضَ بعد ذلك دَحاها * أخرج منها مَاءها ومرعاها﴾[2].

﴿فلينظر الإنسان إلىٰ طعامه * أنّا صَبَبنا الماء صبّاً * ثمّ شققنا الأرض شقّاً * فأنبتنا فيها حبّاً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غُلباً * وفاكهة وأبّاً﴾[3].

دع عنك ما تخرجه الأرض من نبات وأشجار، وحبوب وثمار، ومعادن وأحجار، ولكن هلمَّ إلىٰ هذا الإنسان ذي العقل الجبّار، الذي سخّر الأثير والبخار، والكهرباء والذرّة؛ فهل يكون إلّا من التراب؟!

---

(١) سورة المرسلات ٧٧: ٢٥ و ٢٦.

(٢) سورة النازعات ٧٩: ٣٠ و ٣١.

(٣) سورة عبس ٨٠: ٢٤ ـ ٣١.

وهل عناصره وأجزاؤه التي التأم جسمه منها إلّا من التراب ؟!

وهل يتلاشىٰ ويعود إلّا إلىٰ التراب ؟!

ولعلّ من أجل شرف التراب وقداسته، وعظيم خيراته وبركاته، كنّىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيّه[1] وأحبّ الخلق إليه عليّاً عليه السلام[2]

---

(١) راجع : الفضائل ـ لأحمد بن حنبل ـ ٢/٧٦٢ ـ ٧٦٣ ح ١٠٥٢ ، المعجم الكبير ٦/٢٢١ ح ٦٠٦٣ ، المناقب ـ للخوارزمي ـ : ٨٤ ـ ٨٥ ح ٧٤ ، المناقب ـ للمغازلي ـ : ١٩٢ ح ٢٣٨ ، تاريخ دمشق ٤٢/٣٩٢ ، فردوس الأخبار ٢/١٩٢ ح ٥٠٤٧ ، ذخائر العقبىٰ : ١٣١ ، الرياض النضرة ٣/١٣٨ .

(٢) هناك عدّة أحاديث صرح فيها النبيّ صلى الله عليه وآله بحبّه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، منها :

قوله صلى الله عليه وآله : «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» ؛ وقصّة هذا الطير ذكرها أصحاب السير والتاريخ ، ونذكر هنا قسماً من هؤلاء :

سُنن الترمذي ٥/٥٩٥ ح ٣٧٢١ ، سُنن النسائي ٥/١٠٧ ح ٧٣٩٨ ، تاريخ البخاري الكبير ١/٣٥٨ رقم ١١٣٢ و ٢/٢ رقم ١٤٨٨ ، فضائل الصحابة ـ لأحمد ابن حنبل ـ ٢/٦٩٢ ـ ٦٩٣ ح ٩٤٥ ، مسند أبي يعلىٰ ٧/١٠٥ ح ٤٠٥٢ ، المعجم الكبير ١/٢٥٣ ح ٧٣٠ و ٧/٨٢ ح ٦٤٣٧ ، أنساب الأشراف ـ للبلاذري ـ ٢/٣٧٨ ، العقد الفريد ٤/٧٧ ، طبقات المحدّثين بأصبهان ـ لأبي الشيخ ـ ٣/٤٥٤ ح ٦١٣ رقم ٤٥١ ، مروج الذهب ـ للمسعودي ـ ٢/٤٢٥ ، تمهيد الأوائل ـ للباقلاني ـ : ٥٤٦ ، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٤١ ـ ١٤٢ ح ٤٦٥٠ ـ ٤٦٥١ ، حلية الأولياء ٦/٣٣٩ ، تاريخ بغداد ٣/١٧١ رقم ١٢٥١ ، المناقب ـ للمغازلي ـ : ١٦٣ ـ ١٧٦ ح ١٨٩ ـ ٢١٢ ، مصابيح السُنّة ٤/١٧٣ ح ٤٧٧٠ ، تاريخ دمشق ٣٧/٤٠٦ ، مجمع الزوائد ٩/١٢٥ ـ ١٢٦ ، وغيرها .

وقوله صلى الله عليه وآله : «لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله» ؛ أنظر بخصوص هذا الحديث :

صحيح البخاري ٤/١٤٥ ح ٢١٣ و ٥/٢٧٩ ح ٢٣٠ و ٢٣١ ، سُنن ابن ماجة ١/٤٣ ح ١١٧ ، سُنن النسائي ٥/٤٦ ح ٨١٤٩ ـ ٨١٥١ وص ١٠٨ ـ ١١٣ ح ٨٣٩٩ ـ ٨٤٠٩ و ١٧٨ ـ ١٨٠ ح ٨٦٠٠ ـ ٨٦٠٣ ، مسند أحمد ٥/٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، مسند الطيالسي : ٣٢٠ ح ٢٤٤١ ، مصنّف عبد الرزّاق ٥/٢٨٧ ح ٩٦٣٧ و ١١/٢٢٨

بـ: أبـي تراب[١]، وكانت أحبّ الكنىٰ إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام.

ومنها قد استخرج عبـد الباقي العمري[٢] معنىً شعرياً عرفانياً حيث

ح ٢٠٣٩٥، سُـنن سعيد بن منصـور ٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩ ح ٢٤٧٢ ـ ٢٤٧٤، مصنّف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٩٧ ح ١٧، المعجم الكبير ٦/ ١٥٢ ح ٥٨١٨، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٠ ح ٤٣٤٢، حلية الأولياء ١/ ٦٢ و ٤/ ٣٥٦، تاريخ بغداد ٨/ ٥ رقم ٤٠٣٦، تاريخ دمشق ٤٢/ ١٠٣ ـ ١٢٣، وغيرها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «**كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك، ألا من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة . . .**»؛ انظر: المناقب ـ للخوارزمي ـ: ٢٠٠، نظم درر السمطين: ١٠١، أُسد الغابة ٤/ ٤٢٩ رقم ٤٩٧٠ ترجمة معاوية بن ثعلبة، تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٨٣، البداية والنهاية ٧/ ٢٨٢، الكامل ٥/ ٣١٢.

(١) آنظر: صحيح البخاري ١/ ٩٢ و ٥/ ١٨ ـ ١٩، صحيح مسلم ٧/ ١٢٣، باب فضائل الصحابة، مسند أحمد ٤/ ٢٦٣، المناقب ـ للخوارزمي ـ: ٣٨ ح ٩، وقد أفاض أصحاب السير والتاريخ واقعة التسمية . .

قال ابن إسحاق: عن عمّار بن ياسر، قال: «كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في (غزوة العشيرة) فلمّا نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام بها شهراً، فصالح بها بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة، فوادعهم، فقال لي عليّ بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء النفر ـ من بني مدلج يعملون في عين لهم ـ ننظر كيف يعملون؟! فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، فغشينا النوم، فعمدنا إلىٰ صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما أهبنا إلّا ورسول الله يحرّكنا، فجلسنا وقد تترّبنا، فجعل ينفض التراب عن رأس عليّ ووجهه من تلك الدقعاء فيومئذٍ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: «**يا أبا تراب!**»؛ لِما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا . . .» . . الحديث.

وهناك واقعة أُخرىٰ لتسمية أمير المؤمنين عليه السلام بـ: أبي تراب؛ آنظر: أعلام النبوّة ـ لأبي حاتم الرازي ـ: ٢١١، تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٤٩، البداية والنهاية ٣/ ١٩٥ حوادث سنة ٢ هـ، وغيرها.

(٢) هو: عبـد الباقي بـن سـليمان بـن أحـمد العـمري الفـاروقي المـوصلي: شـاعر، ومؤرّخ، ولد بالموصل عام ١٢٠٤ هـ، وولّي فيها ثمّ ببغداد أعمالاً حكومية، له:

قال :

خلق الله آدماً من تراب فهو ابن له وأنت أبوه[١]

ولعلّ من هنا أيضاً ينكشف سرّ تقبيل الأرض بين يدي الملوك تعظيماً لهم ؛ يعني قُدِّست الأرض التي أنشأتْك ، ومنها تكوّنْت .

وقال الحكيم العارف الخيّام[٢] في بعض **رباعيّاته** :

أى خاك أگر سينهٔ تو بشكافند بس گوهر قيمتى است در سينهٔ تو

وترجمته : «أيُّها التراب لو يشقّون عن قلبك وينظرون إلىٰ باطنك ، لوجدوا فيه الكثير من الجواهر الكريمة ذوات القيمة العظيمة» .

وأبدع من هذا قول بعض أكابر العرفاء الشامخين في (ترجيع بند) له ، فيه بدائع الأسرار والحكم ، يقول فيه :

دل هر ذرهٔ كه بشكافى آفتابيش در ميان بينى

التريا ق الفاروقي ، وهو ديوان شعره ، و **نزهة الدهر في تراجم فضلاء الدهر** ، و **نزهة الدنيا** ، و **الباقيات الصالحات** قصائد في مدح أهل البيت ، توفّي ببغداد عام ١٢٧٩ هـ ؛ آنظر : الأعلام ـ للزركلي ـ ٣ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(١) الباقيات الصالحات : ٤٧ ، الكنىٰ والألقاب ٢ / ٩٨ .

(٢) هو : عمر بن إبراهيم الخيّام النيسابوري ، أبو الفتح : عالم ، حكيم ، شاعر ، ولد بنيسابور في أواخر النصف الأوّل من القرن الحادي عشر للميلاد ، كان عالماً ، ولقد استطاع ذلك العقل أن يجمع بين خليط متناقض من العلوم والفنون التي تتطلّب كلّ طائفة منها مواهب خاصّة ؛ فلقد تعمّق في علوم الدين واللغة من : فقه ، حديث ، كلام ، منطق ، قراءات ، سِيَر ، نحو ، وصرف . .

وقد بلغت شهرة الخيّام ذروتها بمقطوعاته الشعرية : **الرباعيّات** ، وله من التصانيف : **شرح ما يشكل من مصادرات** ، **ميزان الحكمة** ، **رسالة في الموسيقى** ، و **رسالة في ضرورات التضادّ** ، وغيرها ، توفّي في عام ٥١٥ هـ ، وقيل : ٥١٧ .

آنظر : معجم المؤلّفين ٢ / ٥٤٩ ، الأعلام ـ للزركلي ـ ٥ / ٣٨ .

وترجمته: «قلب كلّ ذرّة إذا شققته ونظرت فيه تجد شمساً منيرة فيه».

وقد حاول بعض الرجال البارزين من المصريّين ممّن له إلمام بالأدب الفارسي أن يجعل هذا النظم إشارة إلىٰ الذرّة التي هي من مخترعات هذه العصور؛ أمّا هذا العاجز فلا شكّ أنّه أراد: هذه الذرّة التي ملأت الأجزاء، ومنها تكوّنت الأشياء، وأراد بالشمس: تلك الشمس التي أشرقت منها الشموس والأقمار، فعميت عن إدراكها البصائر والأبصار.

نعم، فهذه الأرض المباركة ذات الآيات الباهرة، ألا تستحقّ التكريم والتعظيم والتعزيز والتقديس؟!

وفي الأحاديث النبوّية أيضاً إشارة إلىٰ ذلك؛ حيث يقول ﷺ: «تمسّحوا بالأرض؛ فإنّها برّة بكم»[1].

وفي آخر: «إنّها أُمّكم الحنون، وأكرموا عمّتكم النخلة؛ فإنّها خلقت من فاضل طينة أبيكم آدم»[2].

وهذه كلّها رموز وإشارات لا تخفىٰ مغازيها علىٰ اللبيب.

إذاً أفلا يتبيّن من هذا سرّ أمر الباري جلّ شأنه للملائكة جميعاً أن يسجدوا لآدم الذي خلقه من تراب، وأنشأه من الأرض، وأودع فيه جميع خواصّها وعناصرها، وفيه انطوىٰ العالم الأكبر؟!

وقد حدّثتنا الكتب السماوية عن السجود لآدم بأساليبها المختلفة؛

---

(١) المعجم الصغير ١/ ١٤٨، مصنّف بن أبي شيبة ١/ ١٨٧ كتاب الطهارة، مجمع الزوائد ٨/ ٦١، كنز العمّال ٧/ ٤١٠ ح ١٩٧٧٨.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٣٥٣ ح ١٩٥، حلية الأولياء ٦/ ١٢٣، الجامع الصغير ١/ ٨٨ ح ١٤٣٢، ربيع الأبرار ١/ ٢٥٣، كنز العمّال ١٢/ ٣٣٨ ح ٣٥٣٠٠.

فليسجدوا لآدم عبادة لله وتقديساً، وتكريماً للأرض ذات الخيرات والبركات، والمحيا والممات.

ومنه تعرف أيضاً سرّ امتناع إبليس المخلوق من النار عن السجود للأرض[١]، والعداء والنفرة طبيعي بين النار والأرض..

الأرض مجمّعة، والنار مفرّقة؛ والجمع قوّة، والفُرقة ضعف.

الأرض باردة معتدلة، والنار محرقة مشتعلة.

الأرض نموّ وزيادة، والنار إفناء وإبادة.

الأرض يعيش بها كلّ حيّ، والنار يهلك بها كلّ حيّ..

إذاً فليسجد الملائكة لآدم، وليسجد أبناؤه لله على الأرض؛ فإنّها أُمّهم البرّة الحنون.

ومن سموّ الأرض على النار وشرفها ـ الذي أشرنا إلى طرف منه ـ ومن بعض نواحيه يتّضح لك أيضاً اندفاع مغالطة الشاعر القديم بشّار بن بُرد[٢] في انتصاره لإبليس في تفضيل النار على الأرض بقوله من أبيات:

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ سورة الأعراف ٧: ١١ و ١٢.

(٢) هو: بشّار بن بُرد بن يرجوخ، أصله من طخارستان ـ وهي ناحية كبيرة مشتملة على بلدان على نهر جيحون ممّا وراء النهر ـ من سبي المهلّب بن أبي صُفرة، وكنيته: أبو معاذ، ولقبه: المرعّث، ولد على الرقِ أيضاً وهو أعمى، فاعتقته امرأة عُقيلية.

كان أكمه جاحظ الحدقتين قد تغشّاهما لحم أحمر، قال الشعر وهو صغير ابن عشر، ثمّ أجاد فيه.

كان بشّار ضخماً عظيم الخَلق والوجه، مجدوراً، طويلاً، وهو في أوّل مرتبة المحدّثين من الشعراء المجيدين، وقد نشأ بالبصرة، ثمّ قدم بغداد ومدح المهدي بن

الأرض مـظلمةٌ والنـارُ مشـرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كـانت النـارُ[1]

المنصور العبّاسي .

قال الجاحظ : كـان بشّـاراً شـاعراً خـطيباً ، صـاحب مـنثور ومـزدوج ، وسـجع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع ، المُـتفنّنين فـي الشـعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه ، قال الشعر في حياة جرير وتـعرّض له ، وكـان يتعصّب للعجم علىٰ العرب .

وكان بشّار يكفّر جميع الأُمّة ويصوّب رأي إبليس في تقديم النار عـلىٰ الطـين وذكر ذلك في شعره .

بلغ الخليفة المهدي أنّه يتزندق ، فأمر بتأديبه فضرب نحو سبعين سوطاً فمات ، وذلك سنة ١٦٧ ، وقيل : ١٦٨ ، وقد نيف علىٰ السبعين ، ومن شعره :

يا قومُ أُذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ والأُذن تعشق قبل العين أحـيانا

ومن هجائه للمهدي قوله :

خـــليفةٌ يـــزني بـــعمّاته يَـلعبُ بـالدبُوقِ والصـولجانْ

أبـــــدلنا الله بـــهِ غـــيرهُ ودسَّ مُوسىٰ في جرِ الخـيزُرانْ

للمزيد راجع : البـيان والتـبيين ١ / ٢٤ و ٤٩ ـ ٥١ ، الأغـاني ٣ / ١٢٧ ـ ٢٤٧ ، لسان الميزان ٢ / ١٥ ـ ١٦ رقم ٥٥ ، خزانة الأدب ٣ / ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(١) البيان والتبيين ١ / ١٦ ، الأغاني ٣ / ١٣٧ ، خزانة الأدب ٣ / ٢١٩ .

ولمّا قام بشّار بُعذر إبليس في أنّ النار خيرٌ من الأرض ، قال صفوان :

زَعـمتَ بأنّ النـارَ أكـرمُ عـنصراً وفي الأرض تحيا بالحجارة والزّنـدِ

وتُـخلق فـي أرحـامها وأرومـها أعاجيبُ لا تُحصىٰ بخطٍّ ولا عقدِ

وقال صفوان أيضاً في شأن واصل وبشّار ، وفي شأن النار والطين :

وفـي جـوفها للـعبد أسـترُ مـنزلٍ وفي ظهرها يقضي فرائضه العـبدُ

تمجُّ لُفاظَ الملحِ مَـجّاً وتـصطفي سبائكَ لا تصدأ وإن قـدم العـهدُ

وقال سليمان الأعمىٰ في اعتذار بشّار لإبـليس ، وهـو يـخبر عـن كـرم خـصال الأرض :

لا بُدّ للأرض إنْ طابت وإنْ خَـبُثت مـن أن تُـحيل إليـها كـلّ مـغروسِ

وتربةُ الأرضِ إن جيدت وإن قحطتْ فـحملُها أبـداً فـي أثـر مـنفوسِ

وبـــطنها بـــفلزّ الأرض ذو خـبرٍ بكلّ ذي جوهر في الأرضِ مرموسِ

راجع : البيان والتبيين ١ / ٢٧ و ٣١ و ٣٢ .

وهذه الحجّة الواهية تستند إلىٰ دعامتين ساقطتين:

الأُولىٰ: إنّ الأرض مظلمة، وممّا تَلوناه عليك من منافع الأرض وبركاتها تعرف أنّ الأرض هي المشرقة، والنار هي المظلمة..

الأرض حياة؛ والحياة هي النور، والنار لا حياة فيها، بل تنعدم بها الحياة؛ وعدم الحياة ظلمة.

الأرض أُمّ الحياة، والنار أُمّ الموت، وأين الحياة من الموت؟!

وكفىٰ بالنار أنّ الله جعلها عقاباً ومآباً للعاصين.

وكفىٰ بالأرض أن جعلها جنّة عدن للمتّقين.

الثانية: إنّ النار معبودة مذ كانت النار، وهذه أسقط من سابقتها؛ فإنّ النار لم يعبدها من الأُمم إلّا المجوس، حتّىٰ قيل:

مثل المجوسي في ظلالته تحرقه النار وهو يعبدها

وأمّا الأرض فلم تزل معبودة علىٰ أُوليات الدهر، بأصنامها وأوثانها، وهياكلها ونواديها، والجميع من الأرض، ولا تزال أكثر الأُمم وثنية إلىٰ اليوم..

وحيث تجلّىٰ شرف الأرض وقداستها، إذاً فليسجد الملائكة ـ الّذين ليسوا هم من الأرض ـ لآدم وليد الأرض.

ولا يجوز السجود في شريعة الإسلام سجود عبادة إلّا لله، إلّا علىٰ الأرض، أو نبات الأرض[1].

ومن أجل ما في الأرض من المواد المعقّمة والعناصر المنقّية جعلها الشارع في الإسلام مطهِّرة من الحدث تارةً، أي: القذارة المعنوية التي

---

(١) الكافي ٣/٣٣١ ح ٥، علل الشرائع ١/٣٧ ح ١ باب ٤٢، الحدائق الناضرة ٧/٢٤٨، منتهىٰ المطلب ١/٢٥١.

لا يزيلها إلّا الماء ، فإذا لم يوجد الماء أو لم يمكن استعماله ﴿ **فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً** ﴾[١] اقصدوا تراباً خالصاً نظيفاً طيّباً ، فامسحوا فيه الجبين الذي هو واليدان أحوج الأعضاء إلىٰ النظافة وإماطة الغبار والأكدار عنهما ؛ لمزاولة اليد للأعمال ، ومباشرتها للأجسام المختلفة في الأسناخ[٢] والأوساخ ؛ فالتراب يقوم مقام الماء ، التراب أخ للماء والأرض أُخته . .

ومطهِّرة من الخبث أُخرىٰ حتّىٰ مع التمكّن من الماء ؛ فتطهّر باطن الحذاء والقدم ، وكثيراً من أمثالها ، كأسفل العصا ونحوها ؛ فلو تنجّس باطن القدم أو الحذاء ومشيت علىٰ الأرض خطوات وزالت العين طهرت القدم ولا حاجة إلىٰ تطهيرها بالماء[٣] .

فالأرض مسجد ، والأرض طهور ، وإليه قصد الحديث النبويّ المشهور : « جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً »[٤] ، أي : أينما أدركتني الصلاة سجدت وصلّيت ، ومتىٰ أعوزني الماء بها تطهّرت ، فهي طاهرة ومطهِّرة .

نعم ، وهي مطهِّرة بما هو أوسع وأدقّ وأعمق معاني التطهير ؛ فإنّ فيها المواد المعقّمة والعناصر المهلكة لجميع جراثيم الأوبئة والأمراض .

---

(١) سورة النساء ٤ : ٤٣ ، وسورة المائدة ٥ : ٦ .

(٢) السناخة : الريح المنتنة ، والوسخ وآثار الدباغ ، وسنخ الدهن والطعام : إذا فسد وتغيّرت ريحه ؛ آنظر : لسان العرب ٦ / ٣٨٧ مادة « سنخ » .

(٣) راجع : الوسائل ٣ / ٤٥٧ الباب ٣٢ طهارة باطن القدم والنعل والخفّ بالمشي علىٰ الأرض ، وقيل : إنّ الأرض يطهّر بعضها بعضاً .

(٤) صحيح البخاري ١ / ١٤٩ ح ٢ و ص ١٩٠ ح ٩٨ ، صحيح مسلم ٢ / ٦٣ ـ ٦٤ ، كتاب المسجد ومواضع الصلاة ، سُنن الترمذي ٢ / ١٣١ ح ٣١٧ ، سُنن أبي داود ١ / ١٢٩ ح ٤٨٩ ، سُنن النسائي ٢ / ٥٦ ، مسند أحمد ٢ / ٢٤٠ و ص ٢٥٠ ، السُنن الكبرىٰ ٢ / ٤٣٣ .

ومن أجل هذه الصفة والخصوصية في الأرض أوجبت الشرائع السماوية، وبالأخصّ شريعة الإسلام، دفن الأموات فيها، ولا يجوز دفن الميّت في غيرها، وأن يوضع خدّه على الأرض، ولا يجوز حتّىٰ إلقاؤه في البحر مع التمكّن من دفنه بالأرض، ولا إحراقه بالنار مع أنّ المتبادر بادئ النظر إنّه أبلغ في قمع جراثيم الأموات المضرّة بالأحياء، كما يصفه البراهمة[1] الّذين يحرقون أمواتهم.

---

(١) البراهمة: هي ديانة أقدم من ديانة البوذية بقرون كثيرة، ويظهر أنّ أصل الديانة البراهمية الهند، وتصعد إلىٰ أبعد عهد من عصورهم التاريخية وتختلط بجميع أدوارهم الاجتماعية، لقد كانت هذه الديانة مجهولة إلىٰ أواخر القرن الثاني عشر حيث ابتدأ في درس اللغة السنسكريتية.

والكتب المقدّسة لهذه الديانة هي: (الفيدا) ثم كتاب (منافادار ماساسترا) أي: قوانين مانوا.

ومذهب ديانة البراهمة أصلان رئيسان هما: وحدة الوجود، والتناسخ، أي: عود الأرواح إلىٰ الأجساد في عالم الدنيا.

ولهم صنم اسمه: (برهما)، له أربعة أوجه وأربعة أيدي: في يده الأُولىٰ كتابهم المقدّس (الفيدا)، وفي يده الثانية ملعقة، وفي يده الثالثة سبحة، وفي يده الرابعة إناء فيه ماء.

البراهمة يقدّسون البقرة ويحرّمون ذبحها معتقدين أنّ الأرواح الطاهرة تحلّ في أجسادها، وكثيراً ما نشأ في هذه العقيدة معارك بينهم وبين مسلمي الهند في العيد.

وهم يقدّسون الثعابين والتماسيح، وغيرها، ويعتبرون نهر (الغانج) مقدّساً، وإنّ الانغماس فيه يطهّر الذنوب، ولذا يحجّ إليه في كلّ عام ملايين منهم.

ومن عاداتهم إحراق موتاهم، وإحراق المرأة مع زوجها الميّت، ولكن الإنكليز أبطلوا هذه العادة بالقوّة.

الناس في ديانة البراهمة أربع طبقات: أُولاها: البراهمان؛ وهم الكهنة والعلماء. وثانيها: الخاتارياس؛ وهم رجال الحرب وحماة الأوطان. وثالثها: البانيان؛ وهم الزرّاع والتجّار. ورابعها: السودراس؛ وهم أرباب الحرف والمهن الدنيئة.

ولكن أليس من الجائز القريب أن يكون جثمان الإنسان يحمل أو تحمل فيه عند مفارقته الحياة مواد من ناشرات الأوبئة التي لو أحسّت بحرارة النار تطايرت في الفضاء قبل أن تحترق فتأخذ مفعولها في نشر الأمراض وتلويث الهواء ؟!

وكذا لو أُلقيت في البحار أو الأنهار تنمو وتشتدّ، بخلاف ما لو دُفنت في التراب ؟!

ولعلّ فيه موادّ من خاصيّتها تلف تلك الجراثيم المختلفة الأنواع، التي لو انتشرت لأهلكت كلّ حيّ حتّىٰ النبات.

وقد أيّد العلم الحديث هذه النظرية؛ حيث اكتشف بعض علماء الغرب حسب ما نقل: أنّ في التراب مادّة تقتل مكروب كلّ مرض من الأمراض كالسلّ والتيفو والملاريا، وغيرها.

ولولا تلك المادّة المعقّمة في التراب لانتشر من جسد كلّ ميّت أنواع من الأمراض تقضي بالفناء علىٰ كلّ الأحياء.

أو لعلّ إليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿**ألم نجعل الأرض كِفاتاً * أحياءً وأمواتاً**﴾[1]؛ فقد ذكر اللغويون أنّ معاني «الكفت»: الجمع والضمّ والإماتة، يقال: كفته الله: أي أماته[2]..

فيكون المعنىٰ المشار إليه في الآية: إنّ الأرض تجمع وتضمّ الأحياء،

عدد أتباع البراهمة في آسيا يقارب المئتي مليون نسمة.

آنظر: الملل والنحل ٣/٧٠٦ وما بعدها، دائرة معارف القرن العشرين ٢/١٥٩ ـ ١٦٤.

(١) سورة المرسلات ٧٧: ٢٥ و ٢٦.

(٢) المفردات ـ للراغب ـ: ٤٥١، أساس البلاغة: ٥٤٦، لسان العرب ١٢/١٧٧؛ مادّة «كفت».

ثمّ تجمع جراثيمها بعد الموت وتميتها[1]؛ فإنْ تمّت هذه الاستفادة فهي إحدىٰ معجزات القرآن.

وهل ترىٰ أنّ قدماء الفلاسفة ومتأخّريهم من اليونان والهند والفرس، وغيرهم في ما استخرجوه من خواصّ الأرض ومعادنها وحيوانها قد أحصوا كلّ ما أودعه الصانع الحكيم فيها من الكنوز والرموز والخزائن والدفائن؟!

كلّا ولا عشر معشار منها، ولعلّ نسبة ما وصلوا إليه ممّا تمنّع عليهم نسبة الذرّة من الفضاء، والقطرة من الماء.

ولا يزال العلم والبحث يأتي بالعجائب، ولا ينهىٰ حتّىٰ تنتهي الدنيا ولن تنتهي؛ وإنّما الغرض الإشارة إلىٰ أنّ هذه الأرض هي من أعظم آيات الله الباهرة، نمرّ عليها ليلاً ونهاراً ونحن عنها معرضون..

---

(١) قال الرازي: وآعلم أنّه تعالىٰ ها هنا ذكر ثلاثة أشياء: (أوّلها): الأرض، وإنّما قدّمها؛ لأنّ أقرب الأشياء إلينا من الأُمور الخارجية هو الأرض...

ثمّ في المعنىٰ وجوه:

أحدها: أنّها تكفت أحياءً علىٰ ظهرها، وأمواتاً في بطنها، والمعنىٰ: إنّ الأحياء يسكنون في منازلهم والأموات يُدفنون في قبورهم، ولهذا كانوا يسمّون الأرض أُمّاً؛ لأنّها في ضمّها للناس كالأُمّ التي تضمّ ولدها وتكفله، ولمّا كانوا يضمّون إليها جُعلت كأنّها تضمّهم.

وثانيها: إنّها كفات الأحياء، بمعنىٰ أنّها تكفت ما ينفصل من الأحياء من الأُمور المستقذرة، فأمّا أنّها تكفت الأحياء حال كونهم علىٰ ظهرها فلا.

وثالثها: إنّها كفات الأحياء بمعنىٰ أنّها جامعة لِما يحتاج الإنسان إليه في حاجاته من مأكل ومشرب؛ لأنّ كلّ ذلك يخرج من الأرض، والأبنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضارّ مبنيّة منها.

ورابعها: إنّ قوله: ﴿**أحياءً وأمواتاً**﴾ معناه راجع إلىٰ الأرض، والحيّ ما أنبت، والميّت ما لم ينبت.

آنظر: تفسير الرازي ١٥ / ٢٧٥.

ولو عرفنا اليسير من منافعها وطبائعها لتجلّىٰ لنا أنّها الأُمّ الحنون البارّة بنا، التي ولدتنا وأرضعتنا من أخلاف[١] نعمها وخيراتها.

وما هذا البشر إلّا غرس من غرسها، وشجرة نامية من أشجارها، أولدتنا علىٰ ظهرها، وغذّتنا من منتوجاتها، وتردّنا إلىٰ أحشائها.

وفي الحديث النبويّ: «إنّ الأرض برّة بكم؛ تتيمّمون منها، وتصلّون عليها في الحياة، وهي لكم كفات في الممات، وذلك نعمة من الله وله الحمد»[٢].

وأفضل ما يسجد المصلّي عليه: التربة النقيّة.

وقد نوّه عن بعض تلك المزايا الشاعر الحكيم العربي القديم، الذي أدرك أوّل بزوغ شمس الإسلام ولم يُسلم؛ لأنّه كان قد رشّح نفسه للنبوّة ولم تساعده العناية، وتخطّته إلىٰ من هو أحقّ بها وأجدر، ذلك أُمية بن أبي الصلت[٣]، وكان ينظم المطوّلات الرنانة في: السماء، والعالم،

---

(١) الأخلاف ـ جمع خِلف، بالكسر ـ: وهو الضرع، وقال ابن فارس: وسمّي بذلك لأنّه يكون خَلفَ ما بعده، وأخلف الشجر: خرجت له ثمرة بعد ثمرة؛ انظر: مادّة «خلف» في: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٦٨، معجم مقاييس اللغة: ٣٢٨، لسان العرب ٤/ ١٨٤.

(٢) دعائم الإسلام ـ للقاضي نعمان ـ ١/ ١٧٨، مستدرك الوسائل ٢/ ٥٣١ ح ٢٦٤٣.

(٣) أُمية بن عبدالله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقدة، من بني ثقيف، أُمّه: رُقية بنت عبد شمس بن عبد مناف: شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف، نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح ـ وهو لباس المتنسّكين ـ تعبّداً، وكان ممّن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنفية ـ دين إبراهيم الخليل عليه السلام ـ وحرّم الخمر، وشكّ في الأوثان، التمس الدين، وطمع في النبوّة؛ لأنّه قرأ في الكتب أنّ نبيّاً يُبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه، فلمّا بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله قيل له: هذا الذي كنت تستريث ـ أي تستبطئ ـ. فسأل عن خبره فقيل له: يزعم أنّه نبيّ.

والمبدأ، والمعاد، والقبر، والبرزخ، والحشر، والنشر، والأفلاك، والأملاك؛ ففي بعض مطوّلاته يقول عن الأرض:

الأرض معقلنا وكانت أُمّنا ... فيها مقابرنا ومنها نولدُ[1]

وفي أُخرىٰ:

هي القرار فما نبغي بها بدلاً ... ما أرحم الأرض إلّا أنّنا كفر
منها خلقنا وكانت أُمّنا خلقت ... ونحن أبناؤها لو أنّنا شكر

ومن الأيام الزكية في شريعة الإسلام هو يوم: (دحو الأرض)، وهو اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام، وهو من أيام الصيام، وفيه دحا الله الأرض من تحت الكعبة[2]؛ أي: بسطها

فخرج حتّىٰ قدم عليه بمكّة، وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنّه علىٰ الحقّ. قالوا: فهل تتّبعه؟ فقال: حتّىٰ أنظر في أمره.

خرج إلىٰ الشام، وهاجر رسول الله إلىٰ المدينة، ولمّا عاد أُمية حدثت وقعة بدر، فعلم بمقتل أهل بدر، وفيهم ابنا خال له، وأقام بالطائف.

ولمّا مرض أُمية مرضه الذي مات فيه جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة منيّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفية حقّ، ولكن أشكّ بداخلي في محمّد. مات سنة ٥ هـ ولم يؤمن بالنبيّ ﷺ.

أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأُولىٰ، وقيل: هو أوّل من جعل في أوّل الكتب: «باسمك اللّهمّ»، فكتبتها قريش. ومن شعره:

كلُّ عيشٍ وإنْ تطاول دهراً ... مُنتهىٰ أمره إلىٰ أن يزُولا
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعىٰ الوُعولا
اجْعَل الموتَ نُصبَ عينيك وآحذر ... غَولةَ الدهر إنّ للدهر غولا

آنظر: الأغاني ٤/ ١٢٧ ـ ١٤٠.

(١) أحكام القرآن ـ للجصّاص ـ ١/ ٣٣، وقال: فسمّىٰ الأرض أُمّاً لنا؛ لأنّه أبتدأنا الله تعالىٰ، تفسير القرطبي ١/ ٧٩، وقال: الأرض أُمّاً في قول أُمية بن أبي الصلت، فتح القدير ـ للشوكاني ـ ٥/ ٤٨٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢/ ٥٤ ح ٢٣٨، مسارّ الشيعة: ٣٤، إقبال الأعمال ٢/ ٢٣..

ومدّها[١]، وفيه دعاء جليل أوّله:

«اللّهمّ داحي الكعبةِ، فالِقَ الحبّةِ، وصارف اللزبة، وكاشف الكُربة، أسألك في هذا اليوم من أيّامك التي عظّمت حقّها، وقدّمتَ سبقها، وجعلتها عند المؤمنين وديعة، وإليك ذريعة...» إلىٰ آخر الدعاء[٢].

وإليه إشارة بقوله تعالىٰ: ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها**﴾.

نعود فنقول أليست هذه الأرض حَرِية إذاً بالتقديس والكرامة والإجلال والعظمة، وأنْ نسجد عبودية لله علىٰ النظيف منها؛ تكريماً لها وشكراً لعظيم نعمته تعالىٰ علينا بها، وتنشيطاً للحركة الفكرية للانتقال من عظمتها إلىٰ عظمة خالقها، وآلتفاتاً إلىٰ أنّها ـ مع عجز القول والأفكار والأيدي العاملة في تحليل جميع عناصرها، وآستخراج كلّ جواهرها ـ ليست هي بالنسبة إلىٰ سائر الكرات والكواكب والأنظمة الشمسية التي أُحصي منها الملايين ـ وما أُحصي إلّا اليسير منها ـ ما هي الّا ذرّة تسبح في بحر الفضاء غير المتناهي؟!

فما أعظم الخالق؟! وما أدهش قدرته وعظمته، وأبدع صنائعه وخليقته؟!

وكلّ ما ذكرناه من فضل هذه الكرة السابحة في بحر هذا الكون، الذي لا ساحل له، وهي الأرض، معلوم وواضح.

كما أنّ من المعلوم الواضح أنّ هذه الأرض مع حدّتها، وتساوي

وأخرج عبد بن حميد، عن عطاء، قال: بلغني أنّ الأرض دحيت دحياً من تحت الكعبة؛ آنظر: الدرّ المنثور ٨/٤١٢، وقال أُمية بن أبي الصلت:

دارٌ دحاها ثُـمّ أعمر بابها ... وأقام بالأُخرىٰ التي هي أمجدُ

(١) تفسير الطبري ١٢/٤٣٩.

(٢) إقبال الأعمال ٢/٢٨، مصباح المتهجّد ـ للطوسي ـ: ٦٦٩.

بقاعها وأجزائها ظاهراً، ولكنّها في الامتحان، وفي ظاهر العيان أيضاً مختلفة أشدّ الاختلاف في البقاع والطباع والأوضاع؛ ففيها: الطيّبة والخبيثة، والحلوة والمالحة، والسبخة والمرّة، وإليه الإشارة بقولة تعالىٰ: ﴿ **وفي الأرض قِطَعٌ متجاورات** ﴾[1].

وهذا الاختلاف شيء محسوس؛ فقد يلقي الحارث في أرض قبضة قمح فيعود عليه ريعها بأضعاف البذر سبعين مرّة، وقد يلقيه في أُخرىٰ فيخيس ويحترق، ولا يحصل حتّىٰ علىٰ البذر.

ولا شكّ أنّ الطيّب النافع هو الحري بالكرامة والتقديس، ولا يبعد أن تكون تربة العراق علىٰ الإجمال من أطيب بقاع الأرض في دماثة طينتها، وسعة سهولها، وكثرة أشجارها ونخيلها، وجريان الرافدين عليها، وما يجلبان من الإبليز[2]، وهو الذهب الإبريز[3]، واللجين الجاري، والياقوت، والذهب الأسود.

ثمّ لو تحرّينا هذه السهول العراقية، وجدنا من القريب إلىٰ السداد القول: إنّ أسمىٰ تلك البقاع أنقاها تربة، وأطيبها طينة، وأذكاها نفحة هي تربة كربلاء، تلك التربة الحمراء الزكية.

وكانت قبل الإسلام قد اتّخذت نواويس[4]، ومعابد، ومدافن للأُمم الغابرة، كما يشعر به كلام الحسين سلام الله عليه في إحدىٰ خطبه

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٤.

(٢) الإبليز ـ بالكسر ـ: وهو ما يُعقبه النهر بعد ذهابه عن وجه الأرض، أعجمية، والعامّة تقول بالسين؛ آنظر: تاج العروس ٨/ ١٧ مادّة «بلز».

(٣) ذهب الإبريز: أي الخالص؛ آنظر: لسان العرب ١/ ٣٧٤ مادّة «برز».

(٤) الناووس: مقابر النصارىٰ، جمعها نواويس؛ آنظر: لسان العرب ١٤/ ٣٢٦ مادّة «نوس».

المشهورة؛ حيث يقول: «وكأنّي بأوصالي هذه تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»[١].

وهذه التربة هي التي يسمّيها أبو ريحان البيروني[٢] في كتابه الجليل **الآثار الباقية**: التربة المسعودة في كربلاء[٣].

نعم، وإنّما يُعرف طيب كلّ شيء بطيب آثاره، وكثرة منافعه، وغزارة فوائده، ويدلّ علىٰ طيب الأرض وآمتيازها علىٰ غيرها، طيب ثمارها، ورواء أشجارها، وقوّة ينعها وريعها.

وقد امتازت تربة كربلاء من حيث المادّة والمنفعة بكثرة الفواكه وتنوّعها وجودتها وغزارتها، حتّىٰ أنّها في الغالب هي التي تموّن أكثر حواضر العراق وبواديه بكثير من الثمار اليانعة التي تختصّها ولا توجد في

---

(١) شرح الأخبار ـ للقاضي النعماني ـ ٢/١٤٦، مثير الأحزان ـ لابن نما الحلّي ـ: ٣٩، الملهوف: ٢٦، كشف الغمّة ٢/٢٣٩، نزهة الناظر وتنبيه الخواطر ـ للحلواني ـ: ٨٦.

(٢) هو: محمّد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: حكيم، رياضي، مؤرّخ، فلكي، أديب، لغوي، كان أعظم عالم موسوعي، ولد في ٣ ذي الحجّة ٣٦٢ هـ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، اطّلع علىٰ فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وآرتفعت منزلته عند ملوك عصره، كان حسن المحاضرة، طيّب العشرة، عفيفاً في أفعاله، صنّف كتباً كثيرة جدّاً تزيد علىٰ مئة وخمسين مؤلّفاً، ويعدّ مؤرّخ العلوم، منها: **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، **مختار الأشعار والآثار**، **الاستيعاب في صنعة الاسطرلاب**، **الجماهر في معرفة الجواهر** وغيرها، توفّي في رجب عام ٤٤٠ هـ.

كان يقول الشعر، فله:

ومن حام حول المجدِ غير مجاهدٍ ... ثوىٰ طاعماً للمكرُماتِ وكاسيا

وبات قرير العين في ظلِّ راحةٍ ... ولكنّه عن حُلّةِ المجدِ عاريا

آنظر: معجم المؤلّفين ٣/٥٣ رقم ١١٦٤٣.

(٣) الآثار الباقية: ٣٢٩.

غيرها.

إذاً أفليس من صميم الحقّ والحقّ الصميم أن تكون أطيب بقعة في الأرض مرقداً وضريحاً لأكرم شخصية في الدهر؟!

نعم، لم تزل الدنيا تمخض لتلد أكمل فرد في الإنسانية، وأجمع ذات لأحسن ما يمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية، وأسمىٰ روح ملكوتية في أصقاع الملكوت، وجوامع الجبروت..

فولدت نوراً واحداً شطرته نصفين: سيّد الأنبياء محمّداً، وسيّد الأوصياء عليّاً[1]، ثمّ جمعته ثانياً؛ فكان الحسين مجمع النورين، وخلاصة الجوهرين، كما قال ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين»[2]، ثمّ عقمت

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «كنت أنا وعليّ بن أبي طالب نوراً بين يديّ الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزءين، فجزءٌ أنا، وجزءٌ عليّ».

وقال ﷺ: «فلمّا خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيءٍ واحد حتّىٰ افترقنا في صلب عبد المطّلب؛ ففيّ النبوّة، وفي عليّ الخلافة».

وفي خبر آخر: «حتّىٰ قسّمه جزءين، فجعل جزءاً في صلب عبد الله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً، وأخرج عليّاً وصيّاً».

راجع: فضائل الصحابة ٢/٨٢٣ ـ ٨٢٤ ح ١١٣٠، شرح نهج البلاغة ٩/١٧١، المناقب ـ للمغازلي ـ: ١٢٠ ـ ١٢٢ ح ١٣٠ ـ ١٣٢، زين الفتىٰ ـ للعاصمي ـ ١/١٣١ ح ٣٤ و ص ١٣٣ ح ٣٨، فردوس الأخبار ١/٣٧٤ ح ٢٧٧٦ وج ٢/١٧٨ ح ٤٨٨٤، مقتل الحسين عليه السلام ـ للخوارزمي ـ ١/٨٤ ح ٣٨، المناقب ـ للخوارزمي ـ: ١٤٥ ح ١٦٩ و ١٧٠، تاريخ دمشق ٤٢/٦٧، تذكرة الخواصّ: ٥٠ ـ ٥١، كفاية الطالب: ٣١٤ ـ ٣١٥، الرياض النضرة ٣/١٢٠، فرائد السمطين ١/٤١ ـ ٤٤ ح ٥ ـ ٨.

(٢) سُنن الترمذي ٥/٦١٧ ح ٣٧٧٥، مسند أحمد ٤/١٧٢، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٩٤ ـ ١٩٥ ح ٤٨٢٠، المصنّف ـ لابن أبي شيبة ـ ٧/٥١٥ ح ٢٢، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩/٥٩ ح ٦٩٣٢، المعجم الكبير ٣/٣٢ ح ٢٥٨٦

أن تلد لهم الأنداد أبد الآباد.

وإذا كان من حقّ الأرض السجود عليها، وعدم السجود علىٰ غيرها؛ أفليس من الأفضل والأحرىٰ أن يكون السجود علىٰ أفضل وأطهر تربة من الأرض، وهي التربة الحسينية؛ وما ذلك إلّا لأنّها أكرم مادّة، وأطهر عنصراً، وأصفىٰ جوهراً عن سائر البقاع؟!

فكيف وقد انضمّ شرفها الجوهري إلىٰ طيبها العنصري؟!

ولمّا تسامت الروح والمادّة، وتساوت الحقيقة والصورة؛ صارت هي أشرف بقاع الأرض بالضرورة، كما صرّح بذلك بعض الأفاضل من كتّاب هذا العصر[1]..

وشهد به الكثير من الأخبار والآثار، وإليه أشار السيّد قدس سره[2] في منظومة الفقه الشهيرة بالبيت المشهور:

ومن حديث كربلا والكعبة لكربلا بان علوّ الرتبة[3]

وقد تلاقفت ذلك الشعراء من زمن الشهادة إلىٰ اليوم، تفنّنوا في بيان

ﷺ وص ٣٣ ح ٢٥٨٩ وج ٢٢/٢٧٣ ـ ٢٧٤ ح ٧٠١ و ٧٠٢، تاريخ دمشق ١٤/١٤٩ وص ١٥٠، جامع الأحاديث الكبير ـ للسيوطي ـ ٤/٢٢٨ ح ١١٢٦٧.

(١) هو العلايلي في كتابه، والعقّاد في: **أبو الشهداء** في ص ١٤٥؛ فقد جاء فيه ما نصّه: فهي ـ أي كربلاء ـ اليوم حرم يزوره المسلمون للعِبرة والذكرىٰ، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنّها لو أُعطيت حقّها من التنويه والتخليد، لحُقّ لها أن تصبح مزاراً لكلّ آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة، وحظّاً من الفضيلة؛ لأنّنا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمىٰ وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها. (منه قدس سره).

(٢) هو السيّد بحر العلوم رحمه الله تعالىٰ.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ٧٨.

فضل هذه التربة، وقداستها وشرفها، وآستطالتها علىٰ جميع بقاع الأرض بالفضل والشرف، ولو جُمع كلّ ما قيل فيها لجاء مجلّداً ضخماً.

وفي زيارة الشهداء مع الحسين سلام الله عليه وعليهم: «أشهد لقد طبتم، وطابت الأرض التي فيها دُفنتم»[١].

وقد اتّفقت كلمات فقهائنا في مؤلّفاتهم ـ مختصرة ومطوّلة ـ إلىٰ أنّ: السجود لا يجوز إلّا علىٰ الأرض، وما ينبت منها غير المأكول والملبوس، وأفضله السجود علىٰ التربة الحسينية[٢].

ومن تلك المؤلّفات الجليلة **سفينة النجاة**، لأخينا المرجع الأعظم في عصره، الشيخ أحمد كاشف الغطاء دام ظلّه، وقد طبعنا في العام الماضي جزءه الأوّل مع تعليقاته عليه، وأكملنا بتوفيقه تعالىٰ تعاليق الجزء الثاني وهو جاهز للطبع، وقد علّقنا علىٰ تلك الفقرة من الكتاب، قبل أن يردنا هذا السؤال ونتصدّىٰ لتحرير هذا الجواب، ما نصّه بحرفه:

«ولعلّ السرّ في التزام الشيعة الإمامية السجود علىٰ التربة الحسينية، مضافاً إلىٰ ما ورد في فضلها من الأخبار، ومفادها إلىٰ أنّها أسلم من حيث النظافة والنزاهة من السجود علىٰ سائر الأراضي، وما يطرح عليها من الفرش والبواري، والحصر الملوّثة والمملوءة غالباً من الغبار والميكروبات الكامنة فيها.

مضافاً إلىٰ كلّ ذلك لعلّ من جملة الأغراض العالية، والمقاصد السامية أن يتذكّر المصلّي حين يضع جبهته علىٰ تلك التربة تضحية ذلك

---

(١) مصباح المتهجّد ـ للطوسي ـ: ٧٢٣.

(٢) شرائع الإسلام ١/ ٧٢ ـ ٧٣، اللمعة الدمشقية ١/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠، الحدائق الناضرة ٧/ ٢٤٨.

الإمام نفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ، وتحطيم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد.

ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلىٰ ربّه حال سجوده»[١]، فناسب أن يتذكّر بوضع جبهته علىٰ تلك التربة الزاكية، أُولئك الّذين وضعوا أجسامهم عليها ضحايا للحقّ، وآرتفعت أرواحهم إلىٰ الملأ الأعلىٰ؛ ليخشع ويخضع، ويتلازم الوضع والرفع، ويحتقر الدنيا الزائفة، وزخارفها الزائلة.

ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع، كما في الخبر الآتي ذكره، فيكون حينئذٍ في السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلىٰ ربّ الأرباب، إلىٰ غير ذلك من لطائف الحكم ودقائق الأسرار». انتهىٰ.

فإذا وقفت علىٰ بعض ما للأرض والتربة الحسينية من المزايا والخواصّ، لم يبقَ لك عجب وآستغراب إذا قيل: إنّ الشفاء قد يحصل من التراب، وإنّ تربة الحسين عليه السلام هي تربة الشفاء؛ كما ورد في كثير من الأخبار والآثار، التي تكاد تكون متواترة كتواتر الحوادث والوقائع التي حصل الشفاء فيها لمن استشفىٰ بها من الأمراض التي عجز الأطبّاء عن شفائها[٢].

---

(١) آنظر: سُنن أبي داود ١/٢٠١ ح ٥، سُنن النسائي ٢/٢٢٦، مسند أحمد ٢/٤٢١، مسند أبي يعلىٰ ١٢/١٢ ح ٦٦٥٨، المصنّف ـ لابن أبي شيبة ـ ٨/٢١١ ح ٨، كتاب الأُمّ ١/١٣٨، مجمع الزوائد ٢/١٢٧، المجموع ٣/٢٦٨ و ٢٦٩، تهذيب الأحكام ٢/٧٧، الكافي ٢/٢٦٥ ح ٣.

(٢) أمالي الطوسي ١/٣٢٦، كامل الزيارات: ٢٧٥ و ٢٧٧، الوسائل ١٤/٥٢١ ـ ٥٢٦ ح ١ ـ ١٤ باب رقم ٧٠ وج ١٤/٥٣٧ ح ١ باب رقم ٧٦.

أفلا يجوز أن تكون لتلك الطينة عناصر كيماوية تكون بلسماً شافياً من جملة من الأقسام قاتلة للميكروبات ؟!

وقد اتّفق علماء الإمامية وتضافرت الأخبار بحرمة أكل الطين إلّا من تربة قبر الحسين عليه السلام بآداب مخصوصة، وبمقدار معيّن، وهو أن يكون أقلّ من حمّصة، وأن يكون أخذها من القبر بكيفية خاصّة، وأدعية معيّنة[1].

ولا نكران ولا غرابة؛ فتلك وصفة روحية من طبيب ربّاني، يرىٰ بنور الوحي والإلهام ما في طبائع الأشياء، ويعرف أسرار الطبيعة، وكنوزها الدفينة، التي لم تصل إليها عقول البشر بعد.

ولعلّ البحث والتحرّي والمثابرة سوف يوصل إليها، ويكتشف سرّها، ويحلّ طلسمها، كما اكتشف سرّ كثير من العناصر ذات الأثر العظيم ممّا لم تصل إليه معارف الأقدمين، ولم يكن ليخطر علىٰ بال واحد منهم مع تقدّمهم، وسموّ أفكارهم، وعظم آثارهم.

وكم من سرّ دفين ومنفعة جليلة، في موجودات حقيرة وضئيلة، لم تزل مجهولة لا تخطر علىٰ بال، ولا تمرّ علىٰ خيال، وكفىٰ بـ (البنسلين)[2] وأشباهه شاهداً علىٰ ذلك.

نعم، لا تزال أسرار الطبيعة مجهولة إلىٰ أن يأذن الله للباحثين بحلّ رموزها، وآستخراج كنوزها، والأُمور مرهونة بأوقاتها، ولكلّ كتاب أجل، ولكلّ أجل كتاب.

---

(١) مسارّ الشيعة: ٣١، مصباح المتهجّد: ٧٣٤، قواعد الأحكام ٣/ ٣٢٩، الوسائل ٢٤/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩ ح ١ ـ ٧ باب رقم ٧٦، المزار ـ للمشهدي ـ: ٣٦٣ ح ٩.

(٢) أحد المضادّات الحيوية، تفرزها بعض سلالات الفطر المسمّىٰ: (بنسليوم نوتاتوم)، اكتشفه سير الكسندر فليمنج. راجع: الموسوعة العربية الميسّرة: ٤١١.

ولا يزال العلم في تجدّد، فلا تبادر إلىٰ الإنكار إذا بلغك أنّ بعض المرضىٰ عجز الأطبّاء عن علاجهم، وحصل لهم الشفاء بقوّة روحية، وأصابع خفيّة، من استعمال التربة الحسينية، أو من الدعاء والالتجاء إلىٰ القدرة الأزلية، أو ببركة دعاء بعض الصالحين.

نعم، ليس من الحزم البدار إلىٰ الإنكار فضلاً عن السخرية، بل اللازم الرجوع في أمثال هذه القضايا والحوادث الغريبة إلىٰ قاعدة الشيخ الرئيس المشهورة: «كلّ ما قرع سمعك من غرائب الأكوان، تذره في بقعة الإمكان، حتّىٰ يذودك عنه قائم البرهان»[1].

هذا بعض ما تيسّر للقلم أن ينفث به مترسّلاً بذكر شيء من مزايا الأرض، وفلسفة السجود عليها، وعلىٰ التربة الحسينية بعد أن اتّضح أنّ الشيعة لا يقولون: بوجوب السجود عليها، وعدم جواز السجود علىٰ غيرها من الأرض الطاهرة النقية، وإنّما يقولون: إنّ السجود علىٰ الأرض فريضة، وعلىٰ التربة الحسينية سُنّة وفضيلة[2].

ومن السخافة أو العصبية الحمقاء قول بعض من يحمل أسوأ البغض للشيعة: إنّ هذه التربة التي يسجدون عليها صنم يسجدون له.

هذا مع أنّ الشيعة لا يزالون يهتفون ويعلنون في ألسنتهم ومؤلّفاتهم: إنّ السجود لا يجوز إلّا لله تعالىٰ، وإنّ السجود علىٰ التربة سجود له عليها، لا سجود لها.

ولكن أُولئك الضعفاء من المسلمين لا يحسنون الفرق بين السجود للشيء، والسجود علىٰ الشيء..

---

(١) آنظر: الإشارات والتنبيهات ٤ / ١٦٠ النمط العاشر: في أسرار الآيات.
(٢) انظر: الوسائل ٥ / ٣٤٣ و ص ٣٦٥.

السجود لله عزّ شأنه، ولكن علىٰ الأرض المقدّسة والتربة الطاهرة، وسجود الملائكة كان لله، وبأمر من الله تكريماً لآدم.

نعم، فقد صار السجود علىٰ التربة الحسينية من عهد قديم شعاراً شائعاً لهذه الطائفة (الشيعية)، يحملون ألواحها في جيوبهم للصلاة عليها، ويضعونها في سجّاداتهم ومساجدهم، وتجدها منثورة في مساجدهم ومعابدهم، وربّما يتخيّل بعض عوامّهم أنّ الصلاة لا تصحّ إلّا بالسجود عليها.

ومنشأ هذا الانتشار، ومبدأ تكوّن هذه العادة والعبادة، وكيفية نشوئها ونموّها، وتعيين أوّل من صلّىٰ عليها من المسلمين، ثمّ شاعت وانتشرت هذا الانتشار الغريب؛ هو: إنّ في بدء بزوغ شمس الإسلام في المدينة، أعني في السنة الثالثة من الهجرة، وقعت الحرب الهائلة بين المسلمين وقريش في «أُحد»، وانهدّ فيها أعظم ركن للإسلام وأقوىٰ حامية من حماته، وهو حمزة بن عبد المطّلب، عمّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة[1]؛ فعظمت مصيبته علىٰ النبيّ وعلىٰ عموم المسلمين، ولا سيّما وقد مثّلت به بنو أُمية ـ أعني به هنداً أُمّ معاوية ـ تلك المثلَة الشنيعة، فقطّعت أعضاءه، واستخرجت كبده فلاكتها ثمّ لفظتها[2]..

وأمر النبيّ نساء المسلمين بالنياحة عليه في كلّ مأتم[3]، واتّسع الأمر

---

(١) راجع: المعجم الكبير ٣/ ١٣٨ ح ٢٩١٩، البداية والنهاية ٤/ ٣٣ حوادث سنة ٣ هـ.

(٢) تاريخ الطبري ١/ ٧٢، المنتظم ٢/ ٢٧٠، البداية والنهاية ٤/ ٣١ و ٣٣؛ حوادث سنة ٣ هـ.

(٣) لمّا رجع رسول الله ﷺ من «أُحد» مرّ بدار بني عبد الأشهل، فسمع البكاء والنوائح علىٰ قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكىٰ، ثمّ قال: «لكنّ حمزة لا

في تكريمه إلىٰ أن صاروا يأخذون من تراب قبره[١]، فيتبرّكون به، ويسجدون عليه لله تعالىٰ، ويعملون المسبحات منه.

وتنصّ بعض المصادر: إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ جرت علىٰ ذلك، أو لعلّها أوّل من ابتدأ بهذا العمل في حياة أبيها رسول الله ﷺ[٢].

ولعلّ بعض المسلمين اقتدىٰ بها، وكان لقب حمزة يومئذٍ: سيّد الشهداء[٣]، وسمّاه النبيّ: أسد الله وأسد رسوله[٤].

ويعلق بخاطري عن بعض المصادر ما نصّه تقريباً: «حمزة دفن في أُحد، وكان يسمّىٰ: سيّد الشهداء، ويسجدون علىٰ تراب قبره، ولمّا قتل الحسين عليه السلام صار هو سيّد الشهداء وصاروا يسجدون علىٰ تربته»[٥]. انتهىٰ.

ويؤيّده ما في **مزار** المجلسي قدس سره ونصّه: «عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت تديرها بيدها تكبّر وتسبّح حتّىٰ قتل حمزة بن

لا بواكي له».

فلمّا سمع سعد بن معاذ، وأُسيد بن حضير جاءا إلىٰ دار بني عبد الأشهل وأمرا نساءهم أن يتحزّمن ثمّ يذهبن فيبكين علىٰ عمّ رسول الله، فقال رسول الله: «ارجعن يرحمكنّ الله، فقد آسيتن بأنفسكنّ».

راجع: البداية والنهاية ٤ / ٣٨ حوادث سنة ٣ هـ.

(١) راجع: الذخائر القدسية في زيارة خير البرية ـ لعبد الحميد بن محمّد أقدس بن الخطيب، المدرّس بالمسجد الحرام بمكّة ـ: ١١٢.

(٢) الحدائق الناضرة ٧ / ٢٦١.

(٣) آنظر: المعجم الكبير ٣ / ١٥١ ح ٢٩٥٨، وغيره.

(٤) المعجم الكبير ٣ / ١٤٩ ح ٢٩٥٢ و ٢٩٥٣، وفاء الوفا ٣ / ٩٣٥.

(٥) الرسالة السعدية ـ للحلّي ـ: ١١٤.

عبد المطّلب ؛ فاستعملت تربته وعملت منها التسابيح ، فاستعملها الناس .

فلمّا قتل الحسين صلوات الله عليه عُدل بالأمر إليه ؛ فاستعملوا تربته لِما فيها من الفضل والمزية»[١] . انتهى .

أمّا أوّل من صلّى عليها من المسلمين ، بل من أئمّة المسلمين ، فالذي استفدته من الآثار ، وتلقّيته من حملة أخبار أهل البيت ، ومهرة الحديث من أساتذتي الأساطين الّذين تخرّجت عليهم برهة من العمر ، هو :

إنّ زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام بعد أن فرغ من دفن أبيه وأهل بيته وأنصاره ، أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف ، الذي بضّعته السيوف كلحم على وضم[٢] ، فشدّ تلك التربة في صرّة ، وعمل منها سجّادة ومسبحة ، وهي السبحة التي كان يديرها بيده حين أدخلوه الشام على يزيد ، فسأله : ما هذه التي تديرها بيدك ؟ فروى له عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله خبراً محصّله : إنّ من يحمل السبحة صباحاً ، ويقرأ الدعاء المخصوص لا يزال يُكتب له ثواب التسبيح ، وإنْ لم يسبّح[٣] .

ولمّا رجع الإمام عليه السلام هو وأهل بيته إلى المدينة صار يتبرّك بتلك التربة ويسجد عليها ، ويعالج بعض مرضى عائلته بها .

فشاع هذا عند العلويّين وأتباعهم ومن يقتدي بهم ، فأوّل من صلّى على هذه التربة وآستعملها ، هو زين العابدين عليه السلام ، الإمام الرابع من أئمّة الشيعة الاثني عشر المعصومين[٤] .

---

(١) بحار الأنوار ١٠١ / ١٣٣ ح ٦٤ .

(٢) الوضم : كلّ شيء يجعل عليه اللحم ، من خشب أو بارية ؛ يُقى به من الأرض ؛ آنظر : لسان العرب ١٥ / ٣٢٩ مادّة «وضم» .

(٣) انظر : الوسائل ٥ / ٣٦٥ ح ١ باب ١٦ ؛ وفيه : عن الإمام الصادق عليه السلام .

(٤) (المجلّد الحادي عشر من البحار : في أحوال الإمام المزبور . منه قدس سره) ، بحار الأنوار

ثمّ تلاه ولده محمّد الباقر عليه السلام ، الخامس من الأئمّة ، وتأثّره في هذه الدعوة ، فبالغ في حثّ أصحابه عليها ، ونشر فضلها وبركاتها ، ثمّ زاد على ذلك ولده جعفر الصادق عليه السلام ؛ فإنّه نوّه بها لشيعته ، وكانت الشيعة قد تكاثرت في عهده ، ومن كبريات طوائف المسلمين وحملة العلم والآثار ، كما أوعزنا إليه في رسائلنا **أصل الشيعة وأُصولها**[١] .

وقد التزم الإمام ولازم السجود عليها بنفسه ؛ ففي **مصباح المتهجّد** لشيخ الطائفة الشيخ الطوسي قدس سره روىٰ بسنده : أنّه كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فكان إذا حضرته الصلاة صبّه علىٰ سجّادته وسجد عليه ، ثمّ قال : إنّ السجود علىٰ تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع[٢] .

ولعلّ المراد بالحجب هي الحاءات السبع من الرذائل ، التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحقّ ، وهي : الحقد ، الحسد ، الحرص ، الحدّة ، الحماقة ، الحلية ، الحقارة[٣] .

فالسجود علىٰ التربة من عظيم التواضع ، والتوسّل بأصفياء الحقّ يمزّقها ويخرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل ، وهي : الحكمة ، الحزم ، الحلم ، الحنان ، الحصانة ، الحياء ، الحبّ .

ولذا يروي صاحب **الوسائل** ، عن الديلمي ، قال : كان الصادق عليه السلام لا يسجد إلّا علىٰ تربة الحسين عليه السلام تذلّلاً لله ، وٱستكانة إليه[٤] .

﴿ ٤٦ / ٧٩ ضمن ح ٧٥ .

(١) أصل الشيعة وأصولها : ١٥٤ وما بعدها .

(٢) مصباح المتهجّد : ٦٧٧ ، الوسائل ٥ / ٣٦٦ ح ٣ باب ١٦ .

(٣) آنظر : رسالة مشكاة الأنوار ـ للغزالي ـ : ٢٢٨ ضمن مجموعة رسائل .

(٤) الوسائل ٥ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ح ٤ ، إرشاد القلوب : ١١٥ .

ولم تزل الأئمّة من أولاده وأحفاده تحرّك العواطف، وتحفّز الهمم، وتوفّر الدواعي إلىٰ السجود عليها، والالتزام بها، وبيان تضاعف الأجر والثواب في التبرّك بها، والمواظبة عليها، حتّىٰ التزمت بها الشيعة إلىٰ اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام.

ولم يمض علىٰ زمن الصادق عليه السلام قرن واحد حتّىٰ صارت الشيعة تصنعها ألواحاً، وتضعها في جيوبها، كما هو المتعارف اليوم..

فقد روي في **الوسائل** عن الإمام الثاني عشر الحجّة عليه السلام، أنّ الحميري كتب إليه يسأله عن السجدة علىٰ لوح من طين قبر الحسين فيه فضل؟

فأجاب عليه السلام: «يجوز لك، وفيه الفضل».

ثمّ سأله عن السبحة، فأجاب بمثل ذلك[1].

فيظهر أنّ صنع التربة أقراصاً وألواحاً كما هو المتعارف اليوم كان متعارفاً من ذلك العصر، أي وسط القرن الثالث، حدود المئتين وخمسين هجرية.

وفيها قال: روي عن الصادق عليه السلام: «إنّ السجود علىٰ طين قبر الحسين ينوّر الأرضين السبع، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كُتب مُسبّحاً وإنْ لم يسبّح فيها»[2].

وليست أحاديث فضل هذه التربة الحسينية، وقداستها، منحصرةً بالشيعة وأحاديثهم عن أئمّتهم، بل لها في أُمّهات كتب حديث علماء السُنّة شهرة وافرة، وأخبار متضافرة، وتشهد بمجموعها أنّ لها في عصر جدّه

---

(١) الوسائل ٥/٣٦٦ ح ٢ باب ١٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/١٧٤ ح ٧٢٥، الوسائل ٥/٣٦٥ ـ ٣٦٦ ح ١.

رسول الله ﷺ نبأ شائعاً وذكراً واسعاً، والحسين يومئذٍ طفل صغير يدرج، بل لعلّ بعضها قبل ولادته، والنبيّ ﷺ ينوّه عنها، ويتحدّث بفضلها، ويتنبّأ بما سيجري عليها من تلك الدماء الزاكية، ويُخبر بقتل الحسين وآل بيته وأنصاره فيها.

وإذا أردت الوقوف على صدق هذه الدعوى، ومكانها من الصحّة، فراجع كتاب **الخصائص الكبير** للسيوطي، في باب أخبار النبيّ بقتل الحسين عليه السلام[1]؛ فقد روي فيه ما يناهز العشرين حديثاً عن أكابر الثقاة من رواة علماء السُنّة ومشاهيرهم، كـ: الحاكم، والبيهقي، وأبي نعيم، وأضرابهم، عن أُمّ الفضل بنت الحارث، وأُمّ سلمة، وعائشة[2]، وأنس، وأكثرها: عن ابن عبّاس[3]، وأُمّ سلمة[4]، وأنس[5] ـ صاحب رسول الله وخادمه الخاصّ به ـ.

---

(١) كتاب الخصائص؛ طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٠. منه ﷺ.

(٢) آنظر: دلائل النبوّة ٦/ ٤٧٠، مسند أحمد ٦/ ٢٩٤، الفتوح ٤/ ٣٢٥.

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٤٣ و ٢٨٣، الفتوح ٤/ ٣٢٦، البداية والنهاية ٦/ ٢٣١، وفي رواية: ... لمّا قُتل الحسين بن عليّ مطرت السماء دماً، وأصبح كلّ شيء ملآن دماً، وآنظر: دلائل النبوّة ٦/ ٤٧١.

وقال أبو نعيم: حدّثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل، قال: لمّا قُتل الحسين بن عليّ انكسفت الشمس كسفة، حتّى بدت الكواكب نصف النهار، حتّى ظنّنا أنّها هي.

آنظر: معرفة الصحابة ٢/ ٦٦٧ ح ١٧٨٥.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدّثنا حمّاد بن زيد، ثنا هشام، عن محمّد، قال: لم تُرَ هذه الحمرة في آفاق السماء حتّى قتل الحسين رضي الله عنه.

(٤) دلائل النبوّة ٦/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩؛ وقال فيه: جاء جبريل بطينة حمراء فأخذتها أُمّ سلمة وصرّتها في خمارها... الحديث، مسند أحمد ٣/ ٢٤٢ وج ٣/ ٢٦٥، البداية والنهاية ٦/ ٢٣١.

(٥) مسند أحمد ٣/ ٢٤٢ وج ٣/ ٢٦٥.

يقول الراوي في أكثرها :

«إنّه دخل علىٰ رسول الله ﷺ والحسين في حِجره ، وعينا رسول الله تهرقان الدموع ، وفي يده تربة حمراء ، فيقول الراوي : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

فقال : أتاني جبريل فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا ، وأتاني بتربة حمراء ، وهي هذه»[١] .

وفي طائفة أُخرىٰ : «إنّه يقتل بأرض العراق ، وهذه تربتها . وإنّه أودع تلك التربة عند أُمّ سلمة زوجته ، فقال : إذا رأيتها وقد فاضت دماً فاعلمي أنّ الحسين قتل . وكانت تتعهّدها حتّىٰ إذا كان يوم عاشوراء عام شهادة الحسين وجدتها قد فاضت دماً ، فعلمت أنّ الحسين قد قتل»[٢] .

بل في هذا الكتاب ـ **الخصائص** ـ وفي **العقد الفريد**[٣] لابن عبد ربّه : أخرج البيهقي وأبو نعيم ، عن الزهري ، قال : «بلغني أنّه يوم قُتل الحسين لم يُقلب حجر من أحجار بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط»[٤] .

---

(١) ومن حديث أُمّ سلمة زوج النبي ﷺ ، قالت : كان عندي النبيّ ﷺ ، ومعي الحسين ، فدنا من النبيّ ﷺ فأخذته فبكىٰ ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكىٰ ، فتركته ، فقال له جبريل : أتحبّه يا محمّد ؟

قال : نعم .

قال : أما إنّ أُمّتك ستقتله ، وإنْ شئت أريتُك من تُربة الأرض التي يُقتل بها . فبسط جناحه ، فأراه منها . فبكىٰ النبيّ ﷺ .

راجع : المعجم الكبير ٣ / ١٠٨ ـ ١١٠ ح ٢٨١٩ ـ ٢٨٢٢ ، العقد الفريد ٣ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

(٢) راجع : المعجم الكبير ٣ / ١٠٨ ح ٢٨١٧ ، الفتوح ٤ / ٣٢٧ .

(٣) الخصائص الكبرىٰ ٢ / ١٢٦ ، العقد الفريد ٣ / ٣٧١ .

(٤) دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٦ / ٤٧١ ، معرفة الصحابة ٢ / ٦٦٢ ؛ وفيه : لم يرفع حجر

وعن أُمّ حيّان: «يوم قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثاً، ولم يمسّ أحدهم من زعفرانهم شيئاً إلّا احترق، ولم يُقلب حجر في بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط»[١].

أمّا أحاديث التربة الحسينية وقارورة أُمّ سلمة[٢]، وغيرها، وشيوع ذكرها في حياة النبيّ، وإخباره عن فضلها، وعن قتل الحسين فيها، قبل ولادة الحسين، وبعد ولادته، وهو طفل صغير، المروية في كتب الشيعة والتاريخ والمقاتل، فهي كثيرة مشهورة متضافرة، بل متواترة، لو اجتمعت لجاءت كتاباً مستقلاً[٣].

ومن باب الاستطراد والمناسبة نقول: إنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم كما أخبر بقتل ولده الحسين عليه السلام في كربلاء قبل وقوعه، ودفع لزوجته أُمّ سلمة من تربتها، وأراها لجملة من أصحابه، كذلك أخبر بحوادث كثيرة ووقائع خطيرة قبل وقوعها، فوقع بعضها في حياته، وبعضها بعد رحلته من الدنيا..

فمن الأوّل: إخباره بفتح مكّة، ودخولهم المسجد الحرام آمنين

بالشام إلّا رُئي تحته دم عبيط..

وآنظر: المعجم الكبير ٣/١١٣ ح ٢٨٣٤ و ٢٨٣٥ وص ١١٩ ح ٢٨٥٦، مجمع الزوائد ٩/١٩٦؛ وقال: ورجاله ثقات، تاريخ دمشق ١٤/٢٢٦، أنساب الأشراف ٣/٤٢٥، فرائد السمطين ٢/١٦٢ ح ٤٥٠، كفاية الطالب: ٤٤٤.

(١) تاريخ دمشق ١٤/٢٢٩.

(٢) راجع: المعجم الكبير ٣/١٠٨ ح ٢٨١٧.

(٣) الثاقب في المناقب ـ لابن حمزة ـ: ٣٣٠ ـ ٣٣٢، إثبات الوصية: ٢٦٢، إعلام الورىٰ: ٢١٩، الصراط المستقيم ٢/١٧٩، مدينة المعاجز: ٢٤٣، حلية الأبرار ١/٦٠٠، وغيرها.

مطمئنين ، كما في القرآن الكريم[١] .

وإخباره بغلبة الروم علىٰ الفرس في بضع سنين ، كما في القرآن أيضاً[٢] .

وإخباره بأنّ كسرىٰ قد مات أو قتل[٣] .

وإخباره بالكتاب الذي مع حاطب بن أبي بلتعة[٤] .

---

(١) وهو قوله تعالىٰ : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلنّ المسجد الحرام إنْ شاء الله آمنين مُحلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ سورة الفتح ٤٨ : ٢٧ .

(٢) وهو قوله تعالىٰ : ﴿غُلِبت الروم * في أدنىٰ الأرضِ وهُم من بعد غَلَبِهم سيغلبون﴾ سورة الروم ٣٠ : ٢ و ٣ .

(٣) الجمع بين الصحيحين ـ للحميدي ـ ٣/ ٩٠٨ ح ٢١٧٤ ، دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٤/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢ ، مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٨ ، كنز العمّال ١١/ ٣٧٦ ح ٣١٠٨١ .

(٤) هو : حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، يكنّىٰ : أبا عبد الله ، وقيل : يكنّىٰ أبا محمّد ، وآسم أبي بلتعة : عمرو ، وقيل : هو حاطب بن عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي ، حليف قريش ، وقيل : حليف الزبير بن العوام .

قال ابن إسحاق : لمّا أجمع رسول الله ﷺ المسير إلىٰ مكّة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلىٰ قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثمّ أعطاه إلىٰ امرأة ، وجعل لها جُعلاً علىٰ أن تبلّغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثمّ فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت .

وأتىٰ رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وقيل : المقداد بن الأسود رضي الله عنهم ، فقال : أدركا امرأةً قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلىٰ قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم . فخرجا حتّىٰ أدركاها بالخليفة ـ خليفة بني أبي أحمد ـ فاستنزلاها ، فالتمساه في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عليّ بن أبي طالب عليه السلام : إنّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذّبنا ، ولتُخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنّك . فلمّا رأت الجدّ منه ، قالت : اعرض ، فأعرض ، فحلّت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتىٰ به رسول الله ﷺ . .

وكثير من أمثالها[١].

ومن الثاني : إخباره بأنّ أصحابه يفتحون ممالك كسرىٰ ، وقيصر[٢] ، وأنّ أصحابه يختلفون في الخلافة من بعده[٣].

وإخباره بمقتل عثمان[٤] ، وشهادة أمير المؤمنين بسيف ابن ملجم[٥].

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً ، فقال : يا حاطب ! ما حملك علىٰ هذا ؟

قال : يا رسول الله ! لا تعجل عليَّ ، إنّي كنت امرأً مُلصقاً ـ أي الرجل القيّم في الحيّ والحليف لهم ـ في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكّة ولم تكن لي قرابة ، فأحببت أن أتّخذ فيهم يداً إذا فاتني ذلك يحمون بها قرابتي . . . الحديث .

آنظر : الاستيعاب ١ / ٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ٤٥٧ ، سيرة ابن هشام ٥ / ٥٣ ـ ٥٤ ، دلائل النبوّة ٥ / ١٤ ـ ١٨ .

(١) إخباره بفتح خيبر علىٰ يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، عندما أعطاه راية الفتح العظيم .

راجع : مصنّف عبد الرزّاق ٥ / ٢٨٧ ح ٩٦٣٧ ، مصنّف ابن أبي شيبة ٧ / ٤٩٧ ح ١٧ ، المعجم الكبير ٦ / ١٥٢٠ ح ٥٨١٨ ، حلية الأولياء ١ / ٦٢ ، تاريخ دمشق ٤٢ / ١٠٣ ـ ١٢٣ ، وقد ذكرها أرباب التاريخ والسير .

(٢) فيض القدير ١ / ٥٧٠ ، تحفة الأحوذي ٦ / ٤٤٦ .

(٣) بدليل قول رسول الله ﷺ : «قد اختلفتم وأنا بين أظهركم ، وأنتم بعدي أشدّ اختلافاً» .

آنظر : الفتن ـ للمروزي ـ : ٣٣٤ ، مصنّف عبد الرزّاق ١١ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ح ٢٠١٨٩ ، المعجم الكبير ٣ / ١٣٤ ـ ١٣٥ ح ٢٩٠٨ و ٢٩٠٩ ، الذرّيّة الطاهرة : ١٣١ ـ ١٣٢ ح ١٦١ ، كنز العمّال ١٤ / ٦١٥ ح ٣٩٧١٣ .

(٤) فيض القدير ١ / ٥٧٠ ، تحفة الأحوذي ٦ / ٤٤٦ .

(٥) قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : ألا أُخبركم بأشقىٰ الناس رجلين ؟

قلنا : بلىٰ يا رسول الله .

فقال : أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك ـ قصد هنا عبد الرحمٰن بن ملجم لعنه الله ـ يا عليّ علىٰ هذه ، ووضع رسول الله يده علىٰ رأسه ـ أي رأس عليّ عليه السلام ـ حتّىٰ تبلّ منها هذه ، ووضع يده علىٰ لحيته . .

وبسمّ ولده الحسن[١]، وغلبة بني أُمية علىٰ الأُمّة[٢].

وزاد أبو حاتم الرازي: فكان علي عليه السلام يقول ـ في أوقات ملاله أشياء كان يراها من أصحابه فيضيق صدره منها ـ: ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذه.

ومرض عليه السلام مرضاً شديداً، فقال له أهله: إنّا نخاف عليك. فقال: أنا والله ما أخاف علىٰ نفسي من مرضي هذا؛ فقد أعلمني رسول الله أنّه يقتلني أشقىٰ هذه الأُمّة.

آنظر: مسند أحمد ١/ ١٣٠ وج ٤/ ٢٦٣، المستدرك ـ للحاكم ـ ٣/ ١٥١ ح ٤٦٧٩، تاريخ بغداد ١/ ١٣٥، أعلام النبوّة ـ لأبي حاتم ـ: ٢١١، المناقب ـ للمغازلي ـ: ١٩٤ و ١٩٥، مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦، البداية والنهاية ٣/ ١٩٥.

(١) ذكر ابن كثير في حوادث سنتي ٤٧ و ٤٨ هـ: قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قطّع السم أمعاءه، فقال الحسين: يا أبا محمّد! أخبرني من سقاك؟

قال: ولم يا أخي؟

قال: أقتله والله قبل أن أدفنك، وأن لا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلّف الشخوص إليه.

فقال: يا أخي! إنّما هذه الدنيا ليالٍ فانية، دعه حتّىٰ ألتقي أنا وهو عند الله. وأبىٰ أن يسمّيه.

وقال أيضاً: سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سمّاً.

وفي خبر: روىٰ بعضهم أنّ يزيد بن معاوية بعث إلىٰ جعدة بنت الأشعث أن سمّي الحسن وأنا أتزوّجك بعده؛ آنظر: البداية والنهاية ٨/ ٣٥.

وقال الخوارزمي: أرسل معاوية إلىٰ جعدة بنت الأشعث بن قيس، فقال: إنّي مزوّجك بيزيد علىٰ أنْ تسمّي الحسن، وبعث إليها بمئة ألف درهم، ففعلت، فسوّغها المال، ولم يزوّجها؛ راجع: مقتل الحسين: ١٩٨ ح ١٠٨.

هكذا تمّ إخبار الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بطريقة سمّ الحسن عليه السلام، وقد فعلها معاوية بطريقة حاقدة؛ إذ أنّه وقّع معه عليه السلام اتّفاقية الصلح، ثمّ لم يلتزم بها، وخوفه من ذهاب ملك بني أُمية من بعد موته دفعه إلىٰ قتل الإمام الحسن عليه السلام بهذه الطريقة التي أفجعت قلوب بني هاشم.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هلاك أُمّتي علىٰ يدي أُغيلمة من قريش»، فقال مروان:

وبشهادة ثابت بن قيس الشماس[١].

وبفتح الحيرة البيضاء، وقضية المرأة التي وهبها لبعض أصحابه، ولمّا فتح الحيرة خالد بن الوليد طلبها منه، وآستشهد بشاهدين من الصحابة فدفعها له، وهي الشيماء أخت عبد المسيح ابن بقيلة، كبير النصارىٰ وقسّهم الأعظم[٢].

غلمة ؟

قال أبو هريرة : إنْ شئت أن أُسمّيهم بني فلان وبني فلان .

وفي حديث آخر : «لا يزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتّىٰ يثلمه رجل من بني أُمية» .

وقال ﷺ أيضاً : «ينزون علىٰ منبري كما تنزو القردة» .

وقال الرسول الكريم ﷺ : «إنّ هذا الأمر بدأ رحمة ونبوّة، ثمّ كائن ملكاً عضوضاً، ثمّ كائن عتوّاً وفساداً في الأرض، يستحلّون الحرير والفروج والخمور...» .

راجع : الجمع بين الصحيحين ـ للحميدي ـ ٣/١٧٢ ح ٢٣٩٢، دلائل النبوّة ٦/٥٠٩ و ٤٦٤ ـ ٤٦٧، وغيرها .

(١) هو : ثابت بن قيس بن شماس بن زهير (ظهير) بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، أُمّه امرأة من طيء، يكنّىٰ : أبا محمّد، قتل بنوه : محمّد ويحيىٰ وعبد الله يوم الحرّة، كان ثابت خطيب الأنصار، وخطيب النبيّ ﷺ، شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد .

وقال له رسول الله ﷺ يوماً نقلاً عن مالك : يا ثابت ! أما ترضىٰ أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنّة ؟ !

قال مالك : فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيداً رحمه الله، وذلك في خلافة أبي بكر .

آنظر : الاستيعاب ١/٢٠٠ ـ ٢٠١ رقم ٢٥٠، أُسد الغابة ١/٢٧٥ رقم ٥٦٩ .

(٢) ونصّ الحكاية : قال خريم بن أوس الطائي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «هذه الحيرة البيضاء قد رُفعت لي، وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية علىٰ بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود» ؛ فقلت : يا رسول الله ! فإن دخلنا الحيرة ووجدتها علىٰ الصفة فهي لي ؟

إلىٰ كثير من أمثال هذه الوقائع ، التي لو جمعت لكانت كتاباً مستقلاً أيضاً[١] .

قال : هي لك . .

ثمّ أقبلنا علىٰ طريق الطفّ إلىٰ الحيرة ، فأوّل من يلقانا حين دخلناها الشيماء بنت بقيلة ، كما قال رسول الله ﷺ ، علىٰ بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود ، فتعلّقت بها وقلت : هذه وهبها لي رسول الله ﷺ . فدعاني خالد بن الوليد عليها بالبيّنة ، فأتيته بها ، وكانت البيّنة : محمّد بن مسلمة ومحمّد بن بشير الأنصاريان ، فسلّمها إليّ ، فنزل إلينا أخوها عبد المسيح يريد الصلح . . القصّة .

راجع : المعجم الكبير ٤ / ٢١٤ ، مجمع الزوائد ٨ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، أُسد الغابة ١ / ٦٠٧ ترجمة خريم بن أوس رقم ١٤٣٨ ، دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٥ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، البداية والنهاية ٥ / ٢٢ ـ ٢٣ حوادث سنة ٩ هـ ، نصب الراية ٤ / ٣٠٢ .

(١) منها :

١ ـ إخبار فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّها أوّل أهل بيته لحوقاً به .

٢ ـ إخبار قتال الزبير لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، بدليل قوله ﷺ للزبير ـ عندما لقيهما في سقيفة بني ساعدة ـ : «أتحبّه يا زبير ؟ !» ، فقال : وما يمنعني ؟ فقال ﷺ : «فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ !» . . الحديث .

٣ ـ إخبار أبو ذرّ الغفاري رحمه الله عن نفيه إلىٰ الربذة ، وموته بأرض فلاة وحيداً ؛ قال رسول الله ﷺ :« يرحم الله أبا ذرّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده » .

٤ ـ إخبار عمّار بن ياسر رضي الله عنه بأنّه تقتله الفئة الباغية .

٥ ـ إخباره بأنّ إحدىٰ زوجاته تنبح عليها كلاب الحوأب .

آنظر : دلائل النبوّة ٥ / ٢٢٢ وج ٦ / ٣٦٤ و ٣٩٠ و ٤١٠ و ٤١٤ و ٤٢٠ ، المرقاة ١٠ / ٣١٨ ح ٥٩٦٩ .

وغيرها من الحوادث التي وقعت بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ .

تـتـمّة
فيها فوائد مهمّة

حيث أننا ذكرنا في صدر هذه النبذة الوجيزة جملاً تتعلّق بـالأرض وأحوالها، وناحية من شؤونها وخيراتها وبركاتها رأينا من المناسب تعميم الفائدة بالتوسّع في ذكر نواح أُخرىٰ تتعلّق بالأرض تشـريعية أو تكـوينية حسبما يخطر علىٰ البال مع جري القلم، ولا ندّعي الاستيعاب والإحاطة؛ فإنّه يحتاج إلىٰ استفراغ وسع لا يساعد عليه تراكم أشغالنا، وتوفّر أعمالنا، وتهاجم العلل والأسقام علىٰ قوانا، وإنّما نذكر ما خطر وتيسّر علىٰ جـهة الأنموذج، ولعلّ المتتبّع يجد أكثر ممّا ذكرناه ويستدرك بـالكثير والقـليل علينا، وبالله المستعان، وعليه التكلان.

الفائـدة الأُولـىٰ: [بحث في الكتب المعتبرة عند الشيعة.]

ورد في جملة من أخبارنا المروية في كتب الحديث المعتبرة، بـل هي أقصىٰ مراتب الاعتبار والوثاقة عندنا، مثل كتاب **الكافي**، الذي هو أجَلّ وأوثق كتاب عند الشيعة الإمامية.

نعم، ورد فيه وفي أمثاله من الكتب العالية الرفيعة، كـ: **علل الشرائع** للصدوق ـ أعلىٰ الله مقامه ـ، فضلاً عن غيره من المتأخّرين، كـ: **البحار** وغيره، عدّة أخبار ـ ولعلّ فيها الصحيح والموثّق ـ مضمونها: الشائعة عند العوام: «إنّ الأرض يحملها حوت، أو ثور وضعها علىٰ قرنه، فإذا شاء أن

تكون في الأرض زلزلة حرّك قرنه فتتزلزل الأرض»[١].

مثل: ما في **روضة الكافي** ما نصّه: «عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن بعض أصحابه، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله ـ أي الصادق عليه السلام ـ قال: إنّ الحوت الذي يحمل الأرض استرقى نفسه أنّه إنّما يحمل الأرض بقوّته، فأرسل الله إليه حوتاً أصغر من شبر، وأكبر من فتر، فدخل في خياشيمه، فصعق فمكث بذلك أربعين يوماً، ثمّ أنّ الله رأف به ورحمه وخرج، فإذا أراد الله تعالىٰ بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلىٰ ذلك الحوت، فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض»[٢].

ومثله في الوعىٰ الوافي[٣] **من لا يحضره الفقيه**[٤]، ثمّ عقّبهما صاحب **الوافي** الفيض الكاشاني ـ رحمه الله ـ بقوله: وسرّ هذا الحديث ومعناه ممّا لا يبلغ إليه أفهامنا[٥]..

ونقل عن **الفقيه** حديثاً: إنّ زلزلة الأرض موكولة إلىٰ ملك يأمره الله متىٰ شاء فيزلزلها[٦].

وفي خبر آخر: «إنّ الله تعالىٰ أمر الحوت بحمل الأرض، وكلّ بلد

---

(١) آنظر: تاريخ الطبري ١/ ٤٠، بدائع الزهور ووقائع الدهور: ١٠ و ١١، قصص الأنبياء ـ للثعلبي ـ: ٤ صفة خلق الأرض.

(٢) الكافي ٨/ ٢٥٥ ح ٣٦٥.

(٣) لعلّ مراد الشيخ رحمه الله: إنّ **من لا يحضره الفقيه** مثله مثل **الكافي** في الاعتبار والوثاقة في ميدان الرواية والحديث الشيعي.

(٤) من لا يحضره الفقيه ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ح ١٥١٥.

(٥) الوافي ٢٦/ ٤٩٠.

(٦) راجع: من لا يحضره الفقيه ١/ ٣٤٣ ضمن ح ١٥١٧؛ إنّه سأل سليمان الديلمي الإمام الصادق عليه السلام عن الزلزلة: ما هي؟ فأجاب عليه السلام: «إنّه وكّل بعروق الأرض ملكاً فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحىٰ إلىٰ ذلك الملك أن حرّك عرق كذا...».. الحديث.

من البلدان على فلس من فلوسه، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن يحرّك ذلك الفلس فيحرّكه، ولو رفع الفلس لانقلبت»[1].

إلى كثير من أمثالها التي لا نريد في هذا المجال جمعها وآستقصائها، وإنّما الغرض الإشارة والإيماء إليها، والتنبيه على ما هو المخرج الصحيح منها، ومن أمثالها بصورة عامّة..

فنقول:

إنّ أساطين علمائنا، كالشيخ المفيد، والسيّد المرتضى، ومن عاصرهم أو تأخّر عنهم، كانوا إذا مرّوا بهذه الأخبار وأمثالها ممّا تخالف الوجدان، وتصادم بديهة العقول، ولا يدعمها حجّة ولا برهان، بل هي فوق ذلك أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة والواقع.

نعم، إذا مرّ على أحدهم هذه الأحاديث، وذكرت لديهم قالوا: هذا خبر واحد لا يفيدنا علماً ولا عملاً. ولا يعملون إلّا بالخبر الصحيح الذي لا يصادم عقلاً ولا ضرراً.

ولذا شاع عن هذه الطبقة أنّهم لا يقولون بحجّية خبر الواحد إلّا إذا كان محفوفاً بالقرائن المفيدة للعلم.

ولا بُدّ من رعاية القواعد المقرّرة للعمل بالخبر المنقول عن النبيّ والأئمّة المعصومين سلام الله عليهم، وهي فائدة جليلة لا تجدها في غير هذه الأوراق.

القاعدة الكلّية والضابطة المرعية:

إنّ الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة المعصومين عليهم السلام سواء

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١/٣٤٣ ح ١٥١٦.

كانت من طرق رواة الإمامية، أو من طرق الجماعة والسُنّة، تكاد تنحصر من حيث مضامينها في أنواع ثلاثة:

النوع الأوّل:

ما يتضمّن: المواعظ والأخلاق وتهذيب النفس وتحليتها من الرذائل، وما يتّصل بذلك من النفس والروح والعقل والملكات.

ويلحق بهذا: ما يتعلّق بالجسد من: الصحّة والمرض والطبّ النبوّي، وخواصّ الثمار والأشجار والنبات والأحجار والمياه والآبار..

و: ما يتضمّن من: الأدعية والأذكار والأحراز والطلاسم، وخواصّ الآيات وفضل السور وقراءة القرآن، بل ومطلق المستحبّات من الأقوال والأفعال والأحوال.

فكلّ خبر ورد في شيء من هذه الأبواب والشؤون يجوز العمل به، والاعتماد عليه لكلّ أحد من سائر الطبقات، ولا يلزم البحث عن صحّة سنده ومتنه إلّا إذا قامت القرائن والأمارات المفيدة للعلم بكذبه، وأنّه من أكاذيب الدسّاسين والمفسدين في الدين.

النوع الثاني:

ما يتضمّن: حكماً شرعياً فرعياً، تكليفياً أو وضعياً؛ وهي عامّة الأخبار الواردة في أبواب الفقه من أوّل كتاب الطهارة بما يشتمل عليه من الغسل والوضوء والتيمّم والمياه ونحوها.

وكتاب الصلاة بأنواعها الكثيرة من الفروض والنوافل، من الرواتب وغيرها، ذوات الأسباب وغيرها.

والزكاة، والخمس، وأحكام الصوم، والجهاد، وأبواب المعاملات، والعقود الجائزة واللازمة.

وكتاب النكاح وأنواعه، والطلاق وأقسامه، وما يلحق به من الخلع والظهار وغيرهما، إلىٰ أن ينتهي الأمر إلىٰ الحدود والديات، وأنواع العقوبات الشرعية والجرائم والآثام المراعىٰ فيها سياسة المدن والصالح العامّ.

وكلّ الأخبار الواردة والمرويّة في شيء من هذه الأبواب لا يجوز العمل بها والاستناد إليها إلّا للفقيه المجتهد، الذي حصلت له من الممارسة وبذل الجهد وآستفراغ الوسع وملكة الاستنباط، وكملت له الأهلية مع الموهبة القدسية.

نعم، يجوز لأهل الفضل والمراهقين، والّذين هم في طريق النظر فيها والاستفادة منها، ولكن لا يجوز له العمل بما يفيده منها ويستظهره من مداليلها، ولا الفتوىٰ علىٰ طبقها قبل حصول تلك الملكة ورسوخها بعد المزاولة الطويلة والجهود المتمادية، مضافاً إلىٰ الاستعداد والأهلية.

نعم، لا يجوز للأفاضل، فضلاً عن العوام، حتّىٰ في المستحبّات مطلقاً، إلّا ما كان من قبيل الأذكار والأدعية، فإنّ ذكر الله حسن علىٰ كلّ حال، ويكفي في بعض المستحبّات الرجاء لإصابة الواقع، والرجاء بنفسه إصابة..

كما يدلّ عليه أخبار: «من بلغه ثواب علىٰ عمل فعمله رجاء ذلك الثواب، أُعطي ذلك الثواب وإنْ لم يكن الأمر كما بلغه»[1]؛ ولكن مراجعة

---

(١) انظر: إقبال الأعمال ١/١٨، وسائل الشيعة ١/٦٣ باب رقم ٩.

المجتهد حتّىٰ في مثل هذه الأُمور أبلغ وأحوط.

النوع الثالث:

ما يتضمّن: أُصول العقائد من: إثبات الخالق الأزلي وتوحيده؛ أعني نفي الشريك عنه، وصفاته الثبوتية والسلبية، وما إلىٰ ذلك من تقديسه وتنزيهه، وأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا، وتعالي قدرته وعظمته.

ثمّ: النبوّة، والإمامة، والمعاد وما يتّصل به من الحشر والنشر، والبرزخ، والصراط، والميزان، والحساب، ونشر الصحف، إلىٰ جميع ما ينظم في هذا السلك.

إلىٰ أن ينتهي إلىٰ مخلوقاته جلّ شأنه من: السماء والعالم، والنجوم، والكواكب، والأفلاك، والأملاك، والعرش، والكرسي.

إلىٰ أنْ ينتهي إلىٰ الكائنات الجوية من: الشهب، والنيازك، والسحاب، والمطر، والرعد، والبرق، والصواعق، والزلازل، والأرض وما تحمله وما يحملها، والمعادن، والأحجار الكريمة، والبحار العظيمة، وخواصّها، وما فيها، والأنهار ومجاريها، والرياح ومهابّها وأنواعها.

والجنّ والوحوش، وأنواع الحيوان بحرياً أو برياً أو سمائياً، إلىٰ أمثال ذلك ممّا لا يمكن حصره ولا يحصر عدّه..

فإنّ الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام قد تعرّضت لجميع ذلك، وقد ورد فيها من طرق الفريقين الشيء الكثير.

وفي الحقّ أنّ هذا من خصائص دين الإسلام، ودلائل عظمته، وسعة معارفه وعلومه؛ فإنّك لا تجد هذه السعة الواردة في أحاديث المسلمين في دين من الأديان مهما كان، ولكن الضابطة في هذا النوع من الأخبار أنّ

ما يتعلّق منه بالعقائد وأُصول الدين من التوحيد والنبوّة، فإن كان ممّا يطابق البراهين القطعية والأدلّة العقلية والضرورية يُعمل به، ولا حاجة إلىٰ البحث عن صحّة سنده وعدم صحّته، وهذا مقام ما يقال أنّ بعض الأحاديث متونها تصحّح أسانيدها، وإنْ كان ممّا لم يشهد له البرهان، ولم تؤيّده الضرورة، ولكنّه في حيّز الإمكان ينظر.

فإن كان الخبر صحيح السند صحّ الالتزام به علىٰ ظاهره، وإلّا فإن أمكن صرفه عن ظاهره وتأويله بالحمل علىٰ المعاني المعقولة؛ تعيّن تأويله، وإن لم يمكن تأويله وكان مضمونه منافياً للوجدان، صادماً للضرورة، فمع صحّة سنده لا يجوز العمل به؛ لخلل في متنه، بل يردّ علمه إلىٰ أهله..

وإنْ كان غير صحيح السند يُضرب به الجدار، ووجب إسقاطه من جمهرة الأخبار.

إذا تمهّدت هذه المقدّمة، فنقول في الأخبار الواردة في الأرض والحوت والثور، وكذا ما ورد في الرعد والبرق، ونحوها من أنّ البرق مخارق الملائكة، والرعد زجرها للسحاب كما يزجر الراعي إبله أو غنمه، وأمثال ذلك ممّا هو بظاهره خلاف القطع والوجدان، فإنّ الأرض تحملها مياه البحار المحيطة بها، وقد سبروها[1] وسيّروها، وساروا حولها، فلم يجدوا حوتاً ولا ثوراً، وعرفوا حقيقة البرق والرعد، والصواعق والزلازل بأسباب طبيعية قد تكون محسوسة وملموسة وتكاد تضع إصبعك عليها.

---

(١) سبر الشيء سبراً: حزره وخبره، لسان العرب ٦/ ١٥٠ مادة «سبر».

فمثل هذه الأخبار على تلك القاعدة، إن أمكن حملها على معانٍ معقولة، وجعلها إشارة إلى جهات مقبولة، ورموز إلى الأسباب الروحية المسخّرة لهذه القوى الطبيعية؛ فنِعم المطلوب..

والّا فالصحيح السند يردّ علمه إلى أهله، والضعيف يضرب به الجدار، ولا يعمل ولا يلتزم بهذا ولا ذاك، وهنا دقيقة لا بُدّ من التنبيه عليها والإشارة إليها وهي:

إنّ من الجليّ عند المسلمين عموماً، بل وعند غيرهم، أنّ الوضع، والجعل، والدسّ في الأخبار قد كثر وشاع، وآمتزجت المجعولات في الأخبار الصحيحة، بحيث يمكن أن يقال: إنّ الموضوعات قد غلبت على الصحاح الصادرة من أُمناء الوحي وأئمّة الدين.

ويظهر أنّ هذه المفسدة والفتق الكبير في الإسلام قد حدث في عصر النبوّة حتّى صار النبيّ صلى الله عليه وآله يُحذّر منه وينادي غير مرّة: «من كذب عليَّ فليتبوّء مقعده من النار»[1]، و: «إنّه ستكثر عليَّ الكذّابة»[2].

ومع كلّ تلك المحاولات والتهويلات لم تنجح في الصدّ عن كثرته فضلاً عن إبادته، وقد حدث في عصره صلى الله عليه وآله وما يليه من الشيء الكثير من الإسرائيليات، وأقاصيص عن الأُمم الغابرة، ونسبة المعاصي والكبائر إلى الأنبياء والمرسلين والمعصومين[3]..

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٥، صحيح مسلم ١/ ٧ و ص ٨، سُنن الترمذي ٢/ ٣٥٧ ح ٢٣٥٨، سُنن أبي داود ٢/ ١٧٧ ح ٣٦٥١، مسند أحمد ١/ ٧٨ و ص ١٣٠؛ وفي معظم المصادر: «من كذب عليَّ متعمّداً...».

(٢) راجع: رسائل المرتضى ٢/ ٥٦، الكافي ١/ ٨٣ ح ١ باب اختلاف الحديث.

(٣) لقد وصلت الجرأة بهؤلاء الوضّاعين أن يعتدوا على الأنبياء عليهم السلام، وينسبون إليهم

وآشتهر بهذه الأوضاع أشخاص مشهورون في ذلك العصر مثل : عبد الله بن سلام[١] ، وكعب الأحبار[٢] ، ووهب بن منبه[٣] ، وأمثالهم[٤] .

ثمّ تتابعت القرون على هذه الخيمة ، وآنتشرت هذه الخصلة الذميمة ؛

الكفر والمعاصي ؛ فمن هذه الإسرائيليات التي نُسبت إليهم ، هي :

١ ـ لطم موسىٰ عليه السلام عين ملك الموت ففقأها .

وقال الثعالبي بخصوص هذه الحكاية الكاذبة في كتابه **ثمار القلوب** : أنا بريء من عهدة هذه الحكاية ؛ راجع : تاريخ الطبري ١ / ٢٥٦ .

٢ ـ قضية داود عليه السلام مع زوجة أُوريا الحثّي ؛ فلقد ذكرها كتابهم المقدّس في صموئيل الثاني ، الصحاح الحادي عشر والثاني عشر ، ودوّنها أيضا أصحاب التاريخ ، كما في تاريخ الطبري ١ / ٢٨٣ .

وكما نقل هؤلاء عن سليمان عليه السلام ، وغيره .

وليت شعري ، كيف يصحّ أن ينسب مثل ذلك إلىٰ نبيّ من الأنبياء ؟ !

(١) هو : عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، أحد الأحبار ، كان حليفاً للأنصار ، ويقال : كان حليفاً للقواقلة من بني عوف بن الخزرج ، وكان اسمه في الجاهلية : الحصين ، وعندما أسلم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عبد الله ، ولمّا كانت الحرب قائمة بين عليّ عليه السلام ومعاوية اتّخذ سيفاً من خشب وآعتزلها ، توفّي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ ؛ آنظر : الاستيعاب ٣ / ٩٢١ رقم ١٥٦١ .

(٢) هو : كعب بن مانع بن ذي هجن ، المعروف بـ : كعب الأحبار ، من كبار علماء اليهود في اليمن ، أسلم في خلافة عمر ، خرج إلىٰ الشام ، فسكن حمص وتوفّي فيها سنة ٣٢ هـ .

الإصابة ٥ / ٦٤٧ رقم ٧٥٠١ ، الأعلام ٥ / ٢٢٨ .

(٣) هو : وهب بن مُنبه الأبناوي الصنعاني الذماري ، ولد بصنعاء عام ٣٤ هـ ، كان كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، كان عالم بأساطير الأوّلين ، ولا سيّما الإسرائيليات ، أصله من أبناء فارس الّذين بعث بهم كسرىٰ إلىٰ اليمن .

قال ابن الجوزي فيه : قال أبو حفص الفلاس : كان ضعيفاً . توفّي بصنعاء عام ١١٤ هـ . .

آنظر : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٤ رقم ٢١٩ ، تذكرة الحفّاظ ١ / ١٠٠ رقم ٩٣ ، الضعفاء والمتروكين ـ لابن الجوزي ـ ٣ / ١٨٩ رقم ٣٦٨٣ .

(٤) مثل : تميم بن أوس الداري ، وهو من نصارىٰ اليمن .

ففي كلّ قرن أشخاص معروفون بالجعل، وقد يعترفون به أخيراً، وأشهرهم بذلك زنادقة المسلمين المشهورين، مثل: حمّاد الراوية[١] وزملائه، ومثل: ابن أبي العوجاء[٢]، وأمثالهم[٣].

---

(١) هو: حمّاد بن أبي ليلىٰ، المعروف بـ: حمّاد الراوية، مشهور برواية الأشعار والحكايات، كانت ملوك بني أُميّة تقدّمه وتؤثره.

قال ابن حجر: وما علمت له حديثاً مسنداً، وقال ثعلب: كان حمّاد الراوية مشهور بالكذب في الرواية، وعمل الشعر وإضافته إلىٰ المتقدّمين، حتّىٰ يقال: إنّه أفسد الشعر، وقد عدّه بعضهم في الزنادقة، توفّي ببغداد سنة ١٥٥، وفيه يقول الشاعر:

نعم الفتىٰ لو كان يعرف ربّه ... ويقيم وقت صلاته حمّاد

آنظر: لسان الميزان ٢/٣٥٢ رقم ١٤٢٤، وفيات الأعيان ٢/٢٠٦ ـ ٢١٠.

(٢) هو: عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة، زنديق مغتر، قال أبو أحمد بن عدي: لمّا أُخذ ليُضرب عنقه، قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أُحرّم فيه الحلال، وأُحلّ الحرام.

وقيل فيه: كان عبد الكريم يُفسد الأحداث، فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتستزلّه وتدخلُه في دينك، فإن خرجت من مصرنا وإلّا قمت فيك مقاماً آتي فيه علىٰ نفسك، فلحق بالكوفة، فدُلّ عليه محمّد ابن سليمان، فقتله وصلبه بها، وذلك في زمن المهدي، وقال فيه بشّار:

قل لعبد الكريم يابن أبي العو ... جاء بعث الإسلام بالكفر موقا
لا تصلّي ولا تصوم فإن صم ... ت فبعض النهار صوماً رقيقا
لا تُبالي إذا أصبت من الخم ... ر عتيقاً ألّا تكون عتيقا
ليت شعري غداةَ حلّيتَ في الجن ... د حنيفاً حُلّيت أمْ زنديقا

آنظر: ميزان الاعتدال ٤/٣٦٨ رقم ٥١٧٢، الأغاني ٣/١٣٩، لسان الميزان ٤/٥١ رقم ١٤٤.

(٣) مثل: مطيع بن إياس بن أبي سلمة الليثي الكناني الكوفي، الشاعر الماجن المشهور، وعباد بن صهيب، وأبو البختري وهب بن وهب، وعمر بن هارون البلخي أبو حفص.

وللمزيد راجع: موسوعة الغدير، بحث الكذّابين والوضّاعين، ترىٰ الكثير منهم.

ذكر العالم الثبت، العلّامة الحبر الجليل، الفلكي الرياضي الشهير، أبو ريحان البيروني في كتابه الممتع العديم النظير **الآثار الباقية**، قال ما نصّه:

«وقد قرأت ـ في ما قرأت من الأخبار ـ أنّ أبا جعفر محمّد بن سليمان ـ عامل الكوفة من جهة المنصور ـ حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء، وهو خال معن بن زائدة، وكانِ من المانوية[1]، فكثر شفعاؤه بمدينة السلام، وألحّوا علىٰ المنصور حتّىٰ كتب إلىٰ محمّد بالكفّ عنه.

وكان عبد الكريم يتوقّع ورود الكتاب في معناه، فقال لأبي الجبّار ـ وكان منقطعاً إليه ـ: إن أخّرني الأمير ثلاثة أيام فله مئة ألف درهم، فأعْلَمَ أبو الجبّار محمّداً.

فقال الأمير: ذكّرتنيه وقد كنت نسيته، فإذا انصرفت من الجمعة فذكّرنيه، فلمّا انصرف ذكّره إيّاه، فدعا به فضرب عنقه.

فلمّا أيقن أنّه مقتول قال: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحرّم بها الحلال، وأُحلّ بها الحرام، ولقد فطّرتكم في يوم صومكم، وصوّمتكم في يوم فِطركم. ثمّ ضربت عنقه، وورد الكتاب في معناه بعده»[2]. انتهىٰ.

---

(١) هم: أصحاب ماني بن فاتك (أفتك) الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن أردشير ملك الفرس، كان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم، وقيل: إنّ أصل أبيه من همدان، ثمّ انتقل إلىٰ بابل..

زعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين، أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وإنّهما أزليان. وقيل: إنّ ماني هذا قتل من قبل كسرىٰ وصلبه.

آنظر: الفهرست: ٥٠٧ ـ ٥٠٩، الملل والنحل ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية: ٦٧ ـ ٦٨؛ وآنظر: تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٨.

وذكر غيره ـ على ما يخطر ببالي ـ أنّ بعض المتحدّثين قال في آخر عمره: إنّي وضعت في رواياتكم خمسين ألف حديث في فضل قراءة القرآن، وخواصّ السور والآيات فقيل له: تبوّء إذاً مقعدك من النار؛ فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من كذب عليَّ فليتبوّء مقعده من النار»[1]، فقال: ما كذبت عليه بل كذبت له[2].

ولم يعرف هذا الشقي أنّ الكذب له عنه كذب عليه، وهذا قليل من كثير ممّا ورد في هذا الباب.

وهنا ملحوظة أُخرى غير خفيّة، وهي: إنّ الكثير ممّن دخلوا الإسلام لم يدخلوه رغبة فيه، وآعتقاداً بصحّته، وما دخلوه إلّا للكيد فيه، وهدم مبانيه، والعدوّ الداخلي أقدر على الإضرار من العدوّ الخارجي، فدسّوا في الأحاديث أخباراً واهية تشوّه صورة وجه الإسلام الجميلة، ودعوته المقبولة، وتحطّ من كرامته، وتلفّ من منشور رايته التي خفقت على الخافقين.

وهذا باب واسع يحتاج إلى فصل بيان لا مجال له هنا، وإنّما الغرض هل يبقى وثوق بعد هذا بصدد هذه الأخبار من أئمّتنا المعصومين الّذين هم تراجمة الوحي، ومجسّمة العقول، والمُثل العليا[3]؟!

---

(١) مرّت تخريجاته في ص ٣٦٧.

(٢) التذكار ـ للقرطبي ـ: ١٥٥.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة له بعد نزول: ﴿إنّما وليّكم الله...﴾.. الآية: «اتّقوا الله أيُّها الناس حقّ تُقاته، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، وآعلموا أنّ الله بكلّ شيء محيط، وأنّه سيكون من بعدي أقوام يكذبون عليَّ فيُقبل منهم، ومعاذ الله أن أقول على الله إلّا الحقّ، أو أنطق بأمره إلّا الصدق، وما آمركم إلّا بما أمرني به،

فكيف يحدّثون بما لا يقبله العقل، ولا يساعده الوجدان ؟!

نعم، يمكن تأويل قضية الأرض، والحوت، والثور، على فرض صدورها عن الأئمّة عليهم السلام، بأنّه أشار إلىٰ أنّ الحوادث هي قوّة الحياة المودعة في الأرض، التي يحيا بها النبات، والحيوان، والإنسان؛ فإنّ قوّة الحياة هي التي تحمل الأرض، والثور إشارة إلىٰ ما يثير تلك القوّة، ويستغلّها من الآلات والمعدات، إلىٰ كثير من التأويلات والمحامل التي لسنا الآن بصددها، وإنّما الغرض المهمّ تنبيه أرباب المذاهب الإسلامية، وغيرهم، بل وحتّىٰ عامّة الإمامية أنّه لا يجوز التعويل والاعتماد علىٰ ما في كتب الأحاديث من الأخبار المروية عن أئمّتنا، ولا يصحّ أن ينسب إلىٰ مذهب الإمامية ما يوجد في كتب أحاديثنا، ولو كانت في أعلىٰ مراتب الجلالة والوثاقة.

وقد اتّفقت الإمامية قولاً واحداً: إنّ أوثق كتب الحديث وأعلاها قدراً وأسماها مقاماً هو كتاب **الكافي**، ويليه **الفقيه**، و**الاستبصار**، و**التهذيب**،

﴿ ولا أدعوكم إلّا إلىٰ الله، ﴿ **وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾.

فقام إليه عبادة بن الصامت، فقال: ومتىٰ ذلك يا رسول الله ؟ ومن هؤلاء ؟ عرّفناهم لنحذرهم.

قال ﷺ: أقوام قد استعدّوا لنا من يومهم، وسيظهرون لكم إذا بلغت النفس منّي ها هنا ـ وأومأ ﷺ إلىٰ حلقه ـ.

فقال عبادة: إذا كان ذلك فإلىٰ مَنْ يا رسول الله ؟

فقال ﷺ: عليكم بالسمع والطاعة للسابقين من عترتي، والآخذين من نبوّتي؛ فإنّهم يصدّونكم عن الغيّ، ويدعونكم إلىٰ الخير، وهم أهل الحقّ، ومعادن الصدق، يُحيون فيكم الكتاب والسُنّة، ويُجنّبونكم الإلحاد والبدعة، ويقمعون بالحقّ أهل الباطل، ولا يميلون مع الجاهل»..

رواها شهاب الدين أحمد في: **توضيح الدلائل علىٰ تصحيح الفضائل** ـ مخطوط.

ومع ذلك لا يصحّ الاعتماد على ما روي فيها ؛ فإنّ فيها الصحيح والسقيم ، والمعوج والمستقيم ، والغثّ والسمين ، من حيث السند تارةً ، ومن حيث المتن أُخرىٰ ، ومن كلتا الجهتين ثالثة . .

ولذا قسّم أساطين الإمامية في القرون الوسطىٰ الأحاديث ـ بما فيها الكتب الأربعة المشهورة ـ إلىٰ أربعة أقسام : الصحيح ، والحسن ، والموثوق ، والضعيف[1] ، ولا يتميّز بعضها عن بعض إلّا بعد الجهود وآستفراغ الوسع ، وللأوحدي من أعلام المجتهدين .

علىٰ أنّنا ذكرنا في جملة من مؤلّفاتنا : أنّ مَلَكة الاجتهاد وقوّة الاستنباط لا يكفي فيها مجرّد استفراغ الوسع ، وبذل الجهد ، بل تحتاج إلىٰ استعداد خاصّ يستأهل به منحة إلٰهية ولطفاً ربّانياً ، يمنحها الحقّ جلّ شأنه للأوحدي فالأوحدي من صفوة عباده .

ومن مجموع ما ذكرنا في هذا المقام يتّضح : إنّ نسبة بعض كَتَبة العصر [ما] ذكروا [من] جملة من الأُمور الغريبة إلىٰ مذهب الإمامية ؛ لخبر أو رواية وجدوها في كتبهم ، أو اعتمد عليها بعض مؤلّفيهم ، لا يصحّ جعله مذهباً للشيعة بقول مطلق ، بل لعلّه رأي خاصّ لذلك المؤلّف لا يوافقه جمهورهم وأساطين علمائهم .

كما أنّه لا يجوز لعوام الإمامية ـ فضلاً عن غيرهم ـ النظر في الأخبار التي هي من النوعين الآخرين ؛ فإنّها مضلّلة لهم ، ومظنّة خطر عليهم ، وليس هو من وظيفتهم وعملهم ؛ بل لا بُدّ من إعطاء كلّ فنّ لأهله ، وأخذه من أربابه وأساتيذه .

---

(١) شرح البداية في علم الدراية ـ للشهيد الثاني ـ ١ / ٧٩ ـ ٨٩ .

وبالجملة : فتمييز الخبر الصريح دلالةً ، المقبول مذهباً ، ليس إلّا لأساتذة الفقه ، وجهابذة الحديث ، ومراجع الأُمّة الأصحّاء لا المدّعين والأدعياء .

وما كلّ ممشوقِ القوامِ بُثينة ولا كلّ مفتون الغرام جميلُ

الفائدة الثانية : ممّا يتعلّق بالأرض .

إنّ الشارع الحكيم في الشريعة الإسلامية قد علّق على الأرض جملة أحكام ، ذكرها الفقهاء في متفرّق كتب الفقه ، وقد ذكرناها في رسائلنا العملية المطبوعة ، كـ: **الوجيزة** ، وحواشِ **التبصرة** ، و **السفينة** ، و **السؤال والجواب** ، وغيرها .

فلنذكرها هنا بالإيماء والإشارة بمناسبة ذكر الأرض وشؤونها وأحكامها ، مرتّبةً على حسب ترتيب الفقهاء لكتب الفقه :

كتاب الطهارة :

١ ـ الأرض : من المطهّرات العشرة ؛ تطهر باطن القدم ، وأسفل العصا ، وباطن النعل والحذاء ، ونظائرها ، مع المشي عليها وزوال عين النجاسة[١] .

٢ ـ الاستجمار : بأحجار ثلاثة طاهرة من الأرض تطهّر المخرج ، وتغني عن الماء[٢] .

---

(١) شرائع الإسلام ١ / ٥٥ ، اللمعة الدمشقية ١ / ٦٥ ـ ٦٦ ، الوسائل ٣ / ٤٥٧ باب طهارة باطن القدم والنعل . . .

(٢) شرائع الإسلام ١ / ١٨ ، الوسائل ٣ / ٤٥٩ ح ١٠ ، شرح اللمعة ١ / ٨٣ .

٣ ـ التيمّم بالصعيد: وهو إمّا مطلق وجه الأرض، فيشمل: الصخر، والحصىٰ، والرمل، وأشباهها، أو خصوص التراب، علىٰ خلاف بين الفقهاء كالخلاف بين اللغويين؛ ولعلّ الأوّل أرجح..

وهو ـ بالكيفية المشروحة في كتب الفقه ـ يغني عن الغسل والوضوء الواجبَين والمستحبَّين في مواضع الضرورة، بل ومطلقاً في بعض الموارد[١].

٤ ـ وجوب دفن الأموات في الأرض بنحو يمنع ظهور رائحته ومن وصول الوحوش إليه[٢].

٥ ـ تعفير خدّه بالأرض عند دفنه[٣].

كتاب الصلاة:

١ ـ جواز الصلاة والمرور في الأراضي الواسعة المملوكة، ولو مع عدم الاستئذان من مالكها مع عدم الإضرار[٤]، وكذا جواز الوضوء والشرب من الأنهار الواسعة المملوكة بغير استئذان.

٢ ـ وجوب السجود علىٰ الأرض الطاهرة وما تنبته غير المأكول والملبوس[٥].

٣ ـ إرغام الأنف بالأرض عند السجود[٦].

---

(١) التهذيب ١/١٨٦، شرائع الإسلام ١/٤٧، اللمعة الدمشقية ١/١٥٤ ـ ١٥٦.
(٢) اللمعة الدمشقية ١/١٤٦.
(٣) اللمعة الدمشقية ١/١٤٧.
(٤) الشرائع ١/٧١، المقدّمة الخامسة.
(٥) الشرائع ١/٧٢ ـ ٧٣، المقدّمة السادسة: في ما يسجد عليه، الوسائل ٥/٣٤٣.
(٦) الشرائع ١/٨٧، الخصال: ٢٣٢.

٤ ـ زلزلة الأرض سبب صلاة الآيات المعروفة، وهي عشر ركوعات بنحو مخصوص[١].

الزكاة:

وجوب الزكاة في ما تخرجه الأرض من الغلات الأربع: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، وآستحبابه في ما عدا ذلك؛ نصف العشر في ما تُسقىٰ بالآلة، وضعفه في ما عدا ذلك[٢].

الخمس:

أحد موارد وجوب الخمس: الأراضي المنتقلة من المسلم إلىٰ الذمّي[٣].

البيع:

إرث الزوجة في الخيار المتعلّق بالأرض التي ترث فيها الزوجة المنتقلة إلىٰ الزوج، أو المنتقلة منه؛ وهي من معضلات المسائل وفيها أبحاث عميقة ودقيقة، ولنا فيها رسالة[٤].

المزارعة:

وهي معاملة علىٰ زرع الأرض بحصّة معيّنة من عائدها، وهي نوع

---

(١) المقنعة: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الشرائع ١/١٠٢ ـ ١٠٤.
(٢) المقنعة: ٢٣٤، الشرائع ١/١٤٢.
(٣) المقنعة: ٢٨٣، الشرائع ١/١٨٠.
(٤) جامع المقاصد ـ للكركي ـ ٤/٣٠٦.

من أنواع الإجارة والاستئجار انفردت عنها بأحكام خاصّة[١]..

ومثلها: **المساقاة**: وهي معاملة على سقي الغروس بحصّة معيّنة من ثمرتها[٢].

المغارسة:

وهي معاملة على غرس في مدّة معيّنة بمقدار معيّن من المال أو من ثمراتها..

والمشهور عند الفقهاء صحّة المعاملتين الأوّليين، وبطلان الأخيرة؛ والأصحّ عندنا صحّتها أيضاً[٣].

إحياء الموات:

وستأتي الإشارة الموجزة إلى بيان بعض أحكامه في الفائدة الثالثة.

الميراث:

حرمان الزوجة من مطلق الأرض عيناً وقيمة، سواء كانت خالية أو مشغولة ببناء وعِمارة، أو غرس أو زرع، وترث من البناء والغروس قيمة، ومن المنقولات عيناً، وهذا ممّا انفردت به الإمامية؛ لأخبار خاصّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام[٤].

هذا ما حضرنا على جري القلم، وربّما يجد المتتبّع أكثر من هذا.

---

(١) الشرائع ٢/١٤٩، جامع المقاصد ٧/٣١١ وما بعدها.

(٢) الشرائع ٢/١٥٤، جامع المقاصد ٧/٣٤٣ وما بعدها.

(٣) جامع المقاصد ٧/٣٩٢ وما بعدها، اللمعة الدمشقية ٣/٣٢٠ ـ ٣٢١، كلمة التقوى ٥/٣٥٠.

(٤) مسالك الإفهام ـ للشهيد الثاني ـ ١٣/١٨٤، الرواشح السماوية ـ للداماد ـ: ٣٩.

الفائدة الثالثة ـ وهي نافعة وواسعة ـ:

إنّ الأراضي التي استولىٰ عليها المسلمون أيام الفتح، وفي الصدر الأوّل من الإسلام لا تخلو:

إمّا غامرة: وهي الموات التي لا تصلح للزراعة عادة؛ إمّا لأنّ الماء يغمرها أكثر السنة، أو لأنّه لا يصل إليها مطلقاً، أو في أيام الزرع، أو لأنّها سباخ؛ ويدخل فيها: الأودية، والآجام[1]، ورؤوس الجبال، وسيف[2] البحار.

وكلّ هذه الأنواع تدخل في الأنفال[3]، وهي راجعة لوليّ الأمر يعمل فيها وفي ما يوجد من المعادن في باطنها وغيرها، ما يراه صالحاً للإسلام، وشؤونه، وقوّة جنديّته، وأسلحته، فلا يجوز لأحد أن يستغلّ شيئاً منها إلّا بإذنه أو إذن خلفائه أو أُمنائه علىٰ مرور الأحقاب والأعقاب[4].

وإمّا عامرة، وهي أقسام:

أوّلها وأشهرها: المفتوح عنوة؛ أي بالقهر والقوّة، ما أوجف[5]

---

(١) الأجمة: الشجر الكثير الملتف، والجمع: آجام؛ آنظر: القاموس المحيط ٤/ ٧٤ مادّة «أجم».

(٢) السيف: ساحل البحر؛ آنظر: لسان العرب ٦/ ٤٥٧ مادّة «سيف».

(٣) الأنفال: كلّ أرض فُتحت من غير أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب، والأرضون الموات، وتركات من لا وارث له من أهل القرابات، والآجام، والمفاوز، والمعادن، وقطائع الملوك، وكانت الأنفال لرسول الله ﷺ في حياته، وهي للإمام القائم مقامه عليه السلام؛ آنظر: تهذيب الأحكام ٤/ ١٣٢.

(٤) المقنعة: ٢٧٨.

(٥) وجف البعير والفرس يجف وجفاً ووجيفاً: أسرع، وقيل: تحرّك باضطراب،

المسلمون عليه بخيل وركاب ؛ وذلك كالعراق بأجمعه ، وأكثر إيران ، وأكثر أراضي الشام ، وفلسطين وشرق الأردن ونحوها .

وقد شاع وآشتهر أنّ هذا القسم هو ملك أو مختصّ بالمسلمين وأنّ تقبيله وتصريفه أيضاً لوليّ الأمر وخلفائه ، وهذا القسم هو المعروف بـ: أرض الخراج ، يقبل الإمام لآحاد المسلمين مقداراً منه فيزرعونه ، ويأخذ منه العشر قيمةً ؛ وهو الخراج ، أو عيناً ؛ وهو المقاسمة .

ثمّ يصرف ما يستوفيه من ذلك في مصالح الإسلام والمسلمين سلماً أو حرباً ، هجوماً أو دفاعاً ، ممّا لا مصداق له اليوم[١] ، بل ويا ليتنا نسلم من شرّهم ونفلت من أشراكهم .

ثانيها : الأرض التي أسلم عليها أهلها اختياراً ، كالمدينة ، وكثير من أراضي اليمن[٢] .

ثالثها : الأرض التي صالح عليها أهلها من أهل الذمّة ، وهي المعروفة بـ: أرض الجزية . .

وحكم هٰذين القسمين أنّه ملك طلق لأربابه ، لا شيء عليهم فيه سوىٰ الزكاة في غلّتها بشروطها المعلومة[٣] .

أمّا المفتوح عنوة فبعد اتّفاق الأصحاب أنّها للمسلمين ، وأنّ في غلّتها ـ مضافاً إلىٰ الزكاة ـ الخراج أو المقاسمة[٤] ؛ فقد اختلفوا أشدّ

والإيجاف : الإزعاج للسير والركاب والإبل ؛ آنظر : لسان العرب ١٥ / ٢٢٢ مادّة «وجف» ، مجمع البيان ـ للطبرسي ـ ٩ / ٣٨٥ .

(١) المقنعة : ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٢) المقنعة : ٢٧٤ ، الحدائق الناضرة ١٨ / ٣٢١ .

(٣) المقنعة : ٢٧٥ .

(٤) الحدائق الناضرة ١٨ / ٢٩٤ وما بعدها ، جواهر الكلام ٨ / ١٧٧ .

الاختلاف في ملكيّتها . .

فبين قائل : إنّها لا تمْلك مطلقاً ، بل هي لعنوان المسلمين الكلّي في جميع الطبقات إلىٰ آخر الدهر[١] .

وبين قائل : بأنّه يملكها من تقبّلها من الإمام أو السلطان بفرضه عليه من الشروط[٢] .

وبين مفصّل : بأنّها تملك تبعاً للآثار لا مطلقاً[٣] .

وآستدلّ كلّ من هؤلاء علىٰ مختاره بدليل من الأخبار ، ووجوده من الاعتبار وغيرهما .

وآرتبك القائلون بعدم الملكية مطلقاً ، أو الاتّباع للآثار بالسيرة المستمرّة من اليوم إلىٰ يوم الإسلام الأوّل في البيع والشراء والوقف والرهن علىٰ رقبة الأرض مع قطع النظر عن الآثار ، وهذه العقود تتوقّف علىٰ الملكية[٤] ؛ إذ لا بيع إلّا في ملك ، ولا وقف إلّا في ملك[٥] ، وهكذا .

ثمّ لازم القولين أنّ المسجد إذا زال بنيانه بالكلّية يزول عن المسجدية حينئذٍ ، ويصحّ جعله داراً أو مزرعة أو غير ذلك ، بل ويجوز تنجيسه ، ومكث الجُنب فيه ، إلىٰ آخر ما هناك ؛ وهذه اللوازم ممّا لا يمكن الالتزام بها أصلاً .

وحلّ عقدة هذا البحث : إنّ الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ من الصدر الأوّل إلىٰ اليوم قد توهّموا من الأخبار ، وفهموا منها عدم الملكيّة

---

(١) الحدائق الناضرة ١٨ / ٢٩٥ ، جواهر الكلام ٨ / ١٧٧ .

(٢) جواهر الكلام ٨ / ١٧٨ .

(٣) جواهر الكلام ٨ / ١٧٨ .

(٤) جواهر الكلام ٨ / ١٧٨ .

(٥) تذكرة الفقهاء ٢ / ٤٤٩ ، جواهر الكلام ٢٢ / ٣٤٣ وج ٢٣ / ٦٩ .

الشخصية لأحد من الناس لشيء من المفتوح عنوة، وأنّه ملك لكلّي المسلمين إلىٰ نهاية الدهر لو أنّ للدهر نهاية، وغفلوا عن نقطة دقيقة في تلك الأحاديث لو التفت أحد منهم إليها لَما وقع هذا الارتباك؛ وحاصل ما يستفاد من مجموع ما ورد من الروايات في هذا الباب، هو: إنّ الأرض العامرة قسمان:

القسم الأوّل: هو مطلق لأربابه، لا شيء عليهم فيه سوىٰ الزكاة، وهما: الأرض التي أسلم عليها أهلها، والتي صالحوا عليها.

القسم الثاني: وهو المفتوح عنوة، مضافاً إلىٰ الزكاة حقّ آخر لعنوان المسلمين ومصالحهم إلىٰ يوم القيامة، لا يراد بذلك نفي الملكيّة مطلقاً، بل نفي الملكيّة المطلقية، وبيان أنّ لها نوعاً خاصّاً من الملكيّة، وذاك أنّ فيه أي عائدةٍ حقّ المسلمين ليس في سائر الأنواع، وهذه النكتة بعد التنبيه عليها جلية من الروايات، والعجب غفل عنها أُولئك الأعاظم..

ففي خبر محمّد بن شريح: «سألت أبا عبدالله ـ أي الصادق عليه السلام ـ عن شراء الأرض من أرض الخراج؟ فكرهه وقال: إنّما أرض الخراج للمسلمين.

فقالوا له: فإنّه يشتريها للرجل وعليه خراجها؟

فقال: لا بأس، إلّا أن يستحي من عيب ذلك»[1].

وفي صحيحة صفوان قال: «حدّثني أبو بردة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ترىٰ في شراء أرض الخراج؟

قال: ومن يبيع ذلك وهي أرض المسلمين؟!

---

(١) تهذيب الأحكام ٧/١٤٨ ح ٦٥، تذكرة الفقهاء ٢/٤٠٢، الحدائق الناضرة ١٨/٢٩٦، وسائل الشيعة ١٢/٢٧٥ ح ٩، جواهر الكلام ٢١/١٥٨.

قال: قلت: يبيعها الذي هي في يده؟

قال: ويصنع بخراج المسلمين ماذا؟ ثمّ قال: لابأس أن يشتري حقّه منها، ويحوّل حقّ المسلمين عليه، ولعلّه يكون أقوىٰ عليها، وأملأ بخراجه منه»[١].

انظر كيف استنكر الإمام بيعها، ثمّ أمضاه من الذي هي بيده إذا التزم بخراجها؟! فليس محطّ النظر في كلّ طائفة من الأخبار الواردة في هذا الموضوع إلّا المحافظة علىٰ الخراج الذي هو حقّ المسلمين، ومصالح الإسلام.

نعم، في هذا كثير من الأخبار ما يظهر منه المنع مطلقاً؛ مثل صحيحة ابن ربيع الشامي: لا تشتروا من أرض السواد؛ فإنّها للمسلمين[٢].

وهو وأمثاله محمول علىٰ ما ذكرناه.

فاغتنم هذه الفائدة؛ فإنّها فريدة ومفيدة، وهي من مفرداتنا في ما أحسب.

والمراد بأرض السواد: العراق؛ فإنّه كان عامراً بأجمعه فمن توجّه إليه يرىٰ من بُعد سواداً متراكماً، وهذا السواد هو البياض حقيقة.

أمّا بياض أراضي العراق اليوم لخرابها وعدم عمرانها فيها سواد الوجه، وحقاً ما قالوا: «الظلم لا يدوم وإذا دام دمّر»[٣].

---

(١) النهاية ـ للطوسي ـ: ٤٢٣، الاستبصار ٣/ ١٠٩ ح ٣٨٧، تذكرة الفقهاء ٢/ ٤٠٢، وسائل الشيعة ١٥/ ١٥٦ ح ٢٠١٩٧.

(٢) التهذيب ٧/ ١٤٧ ح ٦٥٣، من لا يحضره الفقيه ٣/ ١٥٢ ح ٦٦٧، الاستبصار ٣/ ١٠٩ ح ٣٨٥؛ وفيه: عن أبي ربيع الشامي، الخلاف ٢/ ٧٠ ـ ٧١، الوسائل ١٧/ ٣٦٩ ح ٥ باب ٢١.

(٣) آنظر: فيض القدير ٢/ ١٣٥؛ وزاد فيه: «والعدل لا يدوم وإنْ دام عمّر».

هذا حال العامر حال الفتح، فإذا خرب وكان صالحاً للعمارة وألزم السلطان صاحب الأرض بعمارتها، فإن عجز دفعها وليّ الأمر لمَن يعمّرها، وتبقىٰ علىٰ ملك الأوّل ويأخذ أُجرة الأرض من المعمّر الثاني ويدفع خراجها، أمّا لو جُهل مالك الأرض فلوليّ الأمر أنْ يدفعها للمعمّر، تقبيلاً أو تمليكاً أو إجارة، حسب ما يراه من المصلحة، فلو ظهر صاحبها أخذ الأُجرة؛ هذا حكم الموات بعد الفتح.

أمّا الموات قبله، وهو الذي أشرنا إليه في صدر هذه الفائدة، وهو المعنون بكتب الفقهاء بكتاب إحياء الموات؛ فقد شاع وآشتهر حديث: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[1].

وربّما يستكشف منه الإذن العامّ في الإحياء لكلّ أحد، مسلماً كان أو غيره، وتكون ملكاً طلقاً له، لا حقّ فيها لأحد، لا خراجها ولا مقاسمة ولا غيرهما.

نعم، في غلّتها الزكاة بشروطها، كغيرها من الأراضي المملوكة، ولكنّ الأصحّ عندنا، وهو الأحوط، استئذان الإمام في الإحياء أو نائبه، فإن شاء أذن له مطلقاً، وإن شاء بأُجرة، حسب ما يراه من المصلحة، ووضع الأرض سهولاً وحزوناً[2] وغير ذلك.

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢١٤ باب من أحيا أرضاً مواتاً، سُنن الترمذي ٣/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣ ح ١٣٧٨ وح ١٣٧٩، سُنن أبي داود ٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥ ح ٣٠٧٣ وح ٣٠٧٤ كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، الموطّأ: ٦٤٩ ـ ٦٥٠ ح ٢٨ و ٢٩ باب القضاء في عمارة الموات، مسند أحمد ٣/ ٣٣٨ و ص ٣٨١، سُنن الدارمي ٢/ ١٨٣ ح ٢٦٠٣ باب من أحيا أرضاً، السُنن الكبرىٰ ٦/ ٩٩ و ص ١٤٢ و ص ١٤٣.

(٢) الحَزْنُ: ما غَلُظَ من الأرض، والجمع: حزون؛ أنظر: لسان العرب ٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩ مادّة «حزن».

نعم، اشترطوا في إحياء الموات شروطاً:

١ ـ أن لا يكون مملوكاً لمسلم ومعاهد، سواء لم يُعلم ملكيّة أحد له أو عُلم وباد أهله.

٢ ـ أن لا يكون محجراً؛ فإنّ التحجير يفيد الاختصاص والأولوية.

٣ ـ أن لا يكون قد جرىٰ عليه إقطاع من السلطان أو الإمام؛ فإنّه كالتحجير.

٤ ـ أن لا يكون مَشعراً للعبادة، كـ: عرفة ومنىٰ، وأمثالها.

٥ ـ أن لا يكون حريماً لعامر من بلد، أو قرية، أو بستان، أو مزرعة، ولا ما يحتاج إليه العامر من طريق، أو شرب، أو مراح، أو ميدان سباق ونحوها[١].

[تنبيه:]

ممّا يلحق بهذا البحث: المشتركات العامّة..

وأُصولها ثلاثة: المياه، والمعادن، والمنافع، وهي ستّة منافع: المساجد، والمشاهد، والمدارس، والربط، ومنها: الخانات في الطرق والمنازل للمسافرين، والطرق، أي: الشوارع والجادّات، ومقاعد الأسواق[٢].

ومعنىٰ الاشتراك هنا: إنّ كلّ من سبق إلىٰ شيء أو محلّ من تلك الأماكن فهو أحقّ به، ولا يجوز لغيره مزاحمته، فلو دفعه غيره فعل حراماً قطعاً..

---

(١) جامع المقاصد ٧/ ١١ وما بعدها.

(٢) جامع المقاصد ٧/ ٣٣.

فإن كان عيناً، كالماء والمعدن؛ فهو غصب بلا إشكال.

وإن كان موضعاً، كالمدرسة والخان والشارع؛ فلا يبعد الغصب على إشكال.

وإن كان مَشعراً، كالمشاهد والمساجد ونحوها؛ فالأقرب عدم تحقيق الغصبية؛ لعدم حقّ مالي فيها يتحقّق به الغصب، كما أوضحناه في كثير من مؤلّفاتنا، وها هنا مباحث جليلة وتحقيقات دقيقة لا يسعها هذا المختصر، وهي موكولة إلى محالّها.

الفائدة الرابعة: تشتمل على أُمور:

الأمر الأوّل: [تركيب عناصر الأجسام.]

كان قدماء فلاسفة الحكمة الطبيعية إلى هذه العصور الأخيرة يرون أنّ عناصر الأجسام المادّية التي تتركّب الكائنات العنصرية منها هي أربعة: الماء، والتراب، والنار، والهواء، ويسمّونها: (الاستقصات)[1] كلمة يونانية، ومنه نشأت النادرة الأدبية المعروفة؛ حيث أنّ أحد أُدباء الموصل في بغداد قال في موشّحته:

كرة النار على أيدي الهواء رُفعت يحملها ابن السماء
استقصات بزعم الحكماء بعضها من فوق بعض ركّبا
ليتني كنت تمام الأربع

فقال له بعض النجفيّين مطايبة: قال الله سبحانه في كتابه: ﴿**ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً**﴾[2].

---

(١) آنظر: التنبيه والاشراف: ١١٩.
(٢) سورة النبأ ٧٨: ٤٠.

نعم، العناصر عند القدماء أربعة، أمّا اليوم وفي العلم الحديث فقد بلغت العناصر التي تتركّب منها الأجسام جامدة أو سائلة أو غازاً سبعين عنصراً أو أكثر، وأكثر العناصر الكيماوية التي تتكّون منها الأرض ولا سيّما الأراضي الزراعية هو: الأزوت، والسليس، والأُوكسجين، وكربونات الجير المغنيسات، وأُوكسيد الحديد، والبوتاسا، والصودا، وغيرها.

وتختلف مقاديرها بحسب اختلاف الأراضي، وتسمّىٰ عندهم باسم العنصر الغالب؛ فبعضها طينية، وبعضها رملية، وأُخرىٰ حصوية، وهكذا، وكما أنّ الأرض والتراب تتركّب من العناصر، وتنحلّ إليها، فكذلك الماء والهواء؛ فإنّ كلّاً منهما يتركّب من الأُوكسجين والهيدروجين وغيرها بنسب متفاوتة ومقادير معيّنة، وكذلك الأجسام البشرية والحيوانية والنباتية.

ولكلّ واحد من هذه العناصر مزية تخصّه لا توجد في الآخر، وكلّ هذا مذكور ومفصّل في العلوم الطبيعية بالمعنىٰ الواسع، وليس الغرض هنا إلّا ذكر ما يتعلّق بالأرض بنحو موجز كالرمز، ويطلبه من أراد التوسّع من محالّه ومن أهله.

الأمر الثاني: في ما يتعلّق بحركة الأرض وسكونها.

وهي من مهمّات المسائل الرياضية وأُمّهاتها، ومن المعلوم لدىٰ كلّ ذي حسّ أنّ الزمان عبارة عن ليل ونهار يتقوّم بهما الشهر، والسنة عبارة عن الفصول الأربعة.

وكلّ هذه المعاني والاعتبارات متحصّلة من الشمس والقمر والأرض من حركة بعضها بعضاً إلىٰ الآخر، ودوران بعضها علىٰ بعض، إنّما الإشكال علىٰ أوّليات الدهر، والخلاف بين أعاظم الحكماء اليونانيين الأوليّين

وغيرهم، أنّه هل الشمس تدور علىٰ الأرض أو الأرض تدور عليها؟ بعد الاتّفاق علىٰ أنّ القمر هو الدائر علىٰ الأرض، ويتمّ دورته من المغرب إلىٰ المشرق في سبعة وعشرين يوماً تقريباً، ومن هذه الدورة وما يلحقها يحصل الشهر.

والأقوال في حركة الشمس أو الأرض كثيرة قد تزيد علىٰ ستّة، ولكن المشهور منها مذهبان:

[المذهب] الأوّل: مذهب (فيثاغورس)[١]، الذي كان قبل المسيح بخمسمائة سنة، ثمّ تبعه جماعة من فلاسفة اليونان، مثل (فلوطرخوس)[٢] و(أرشميدس)[٣]..

---

(١) فيثاغورس: أحد حكماء اليونان، وهو أوّل من نطق في الأعداد والحساب، والهندسة، تفرّغ لدراسة الحكمة، فجال بطلبها في مصر والشام وبابل، وإليه يُعزىٰ تقويم الحساب المعروف بجدول فيثاغورس في الضرب، قال بتناسخ الأرواح، عاش في زمن ملك يقال له: (اغسطس) فهرب منه، فتبعه، وركب فيثاغورس البحر حتّىٰ صار إلىٰ هيكل في جزيرة، فأحرقه عليه الملك بالنار، وتوفّي في جزيرة (ساموس) عام ٦٠٠ ق م، كان من تلامذته: (ارسميدس)، صاحب المرايا المحرقة؛ أنظر: تاريخ اليعقوبي ١ / ١٥٤ ـ ١٥٥، دائرة معارف القرن العشرين ١ / ١٨٣.

(٢) فلوطرخس: هو أحد علماء الطبيعة، له كتاب الآراء الطبيعية، ويحتوي علىٰ آراء الفلاسفة في أُمور الطبيعيات. الفهرست: ٤١٢.

(٣) أرشميدس (أرخميدس): رياضي، وفيزيقي مخترع إغريقي، أكبر علماء الهندسة في الأقدمين، وواحد من الّذين جعلتهم مكتشفاتهم العلمية من ذوي الذكر الخالد، ولد في سيراقوسة سنة ٢١٢ ق م. ومع قرابته للملك (هيرون) ملك تلك المدينة لم يلِ شيئاً من خطط الحكومة، قصد الاسكندرية، وهو شاب ليتلقّىٰ العلم.

نُسبت إليه عدّة اكتشافات منها: (اكتشاف العيار المخمّس، والعجلات المسنّنة، وآكتشاف البكرة المتحرّكة، وقانون الوزن النوعي في علم الطبيعة).

وكان سبب اكتشافه لهذا القانون الأخير هو: أنّ (هيرون) ملك سيراقوسة طلب

ولكن حيث أنّ هذا الرأي قد يتنافىٰ مع ظاهر الحسّ، وما أكثر ما يخطأ الحسّ؛ فإنّ المحسوس الأرض واقفة، والشمس والقمر يتحرّكان عليها، كما قال الشاعر:

تجري علىٰ كبد السماء كما يجري حمام الموت بالنفس

لذلك كفّرهم أهل زمانهم، وبقي هذا الرأي مهجوراً ومستوراً حتّىٰ جاء (بطليموس)[1] قبل المسيح بمائة وخمسين سنة، فأيّد ما يراه العوام

إليه أن يتحقّق من خلوص ذهب تاجه دفعاً لظنّ علق به من احتمال أن يكون الصانع قد وضع فيه فضّة، ولكنّه شرط علىٰ أرخميدس أن لا يُحلل من التاج شيئاً، فأخذ رياضياً يفكّر في المسألة، فأعجزته، فبينما هو في الحمّام يوماً مغموساً في الماء شاهد أنّه لو رفع ساقه ارتفعت بسهولة كأنّها فقدت من وزنها، فأدرك في الحال: «إنّ كلّ جسم يُغمس في الماء يفقد من وزنه بقدر ثقل الماء الذي يزيحه حجمه» فرأىٰ أنّه بهذه الوسيلة يستطيع أن يحسب مقدار ما في تاج الملك من الذهب والفضّة بوزنه في الماء، ثمّ وزن الماء الذي يزيحه، ومقارنة ذلك بثقل الذهب الخالص والفضّة.

ولما هاجم الرومانيون (سيراقوسة) وطنه كان أرخميدس أسرع قومه إلىٰ الدفاع عن حوزته، فتولّىٰ الزعامة، وآستطاع بعلمه أن يوقف هجمات الأسطول الروماني علىٰ الجزيرة مدّة ثلاث سنين، وقيل: إنّه اكتشف أيضاً بواسطة المرايا وسائل لإحراق السفن عن بعد بالأشعة الشمسية، فحار (مارسلوس) القائد الروماني في أمره، ولم يستطيع أن يهاجم الجزيرة إلّا في غرّة من أرخميدس، فلمّا دهمها برجاله كان يشتغل بحلّ مسألة رياضية عويصة، فأنفذ إليه (مارسوس) جندياً ليحضره إليه، فلمّا دخل عليه الجندي وجده منكبّاً علىٰ العمل، فقال له: قم معي. فرجاه أن يرجئه حتّىٰ يحلّ المسألة، فضربه بسيفه فقتله، وذلك عام ٣١٢ ق م.

فأسف (مارسوس) علىٰ موته غاية الأسف، وعامل أهله وأكرمهم، وبنىٰ له قبراً، ووضع عليه ما أوصىٰ بوضعه أرخميدس نفسه: كرة وأُسطوانة.

راجع: دائرة معارف القرن العشرين ١ / ١٨٠ ـ ١٨١، الموسوعة العربية الميسّرة: ١١٨، الفهرست: ٤٢٨.

(١) بطليموس: كلوديوس بطليموس، عالم فلك، ورياضة، وجغرافية، وفيزيقا،

من سكون الأرض، وحركة جميع السيارات عليها.

وشاع وآشتهر هذا الرأي، وعليه جرىٰ حكماء الإسلام من زمن الرشيد والمأمون إلىٰ زمن ابن سينا[١]، ونصير الدين الطوسي[٢]، وأمثالهم

ومؤرّخ من حكماء اليونان، نشأ بالاسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني الميلادي..

اكتشف عدم انتظام حركة القمر، وآعتبرت أعماله في الفلك والجغرافية مرجعاً أساسياً؛ فكتابه **المجسطىٰ** يبحث في الفلك والرياضة، ويحتوي علىٰ مسائل وتفسيرات للأجرام السماوية وعلاقتها بالأرض، وكتاب **ذات الحلق**، و**ذات الصفائح** ـ وهو **الاسطرلاب** ـ وغيرها.

له النظرية البطليموسية في الهيئة، أمّا نظام بطليموس فهو صورة الكون كما تخيّلها القدماء، حيث الأرض في المركز وتدور حولها باقي الأجرام السماوية في دائرة، وبسرعة منتظمة.

وقال في الأرض: إنّ الأرض وإن كانت كروية إلّا أنّها ساكنة غير متحرّكة، وإنّ الشمس هي التي تدور حولها.

آنظر: الموسوعة العربية الميسّرة: ٣٨٠ ـ ٣٨١، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٧١، الفهرست: ٤٣٠، دائرة معارف القرن العشرين ١/ ١٨٣.

(١) هو: الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي، ثمّ البخاري، يلقّب بالشيخ الرئيس، أبو عليّ: فيلسوف، طبيب، شاعر، مشارك في أنواع من العلوم، ولد بخرميشن من قرىٰ بخارىٰ في صفر من عام ٣٧٠ هـ، كان أبوه كاتباً ومن دعاة الإسماعيلية، له تصانيف كثيرة منها: **الإشارات والتنبيهات وكتاب الشفاء** و**الطبيعيات** و**تقاسيم الحكمة** و**الموجز الكبير في المنطق**، وغيرها.

توفّي بهمدان في عام ٤٢٨ هـ، ودفن عند سور همدان، وقيل: نُقل تابوته إلىٰ أصبهان.

آنظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣١ رقم ٣٥٦، معجم المؤلّفين ١/ ٦١٨ رقم ٤٦٦٨.

(٢) هو: أبو جعفر، محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، المعروف بالمحقّق الطوسي، وبالخواجة نصير الدين الطوسي، ولد في طوس، وآختلف في سنة ولادته، ولكن غالبية المؤلّفين علىٰ أنّه ولد سنه ٥٩٧ هـ..

كان من أشهر علماء القرن السابع، وأشهر مؤلّفيه، وقيل فيه: حكيم عظيم

من أعاظم فلاسفة الإسلام إلىٰ هذه العصور الأخيرة، وفرضوا لكلّ واحد من السيّارات فلكاً خاصّاً، والكوكب مركوز في ثخنه[1]، وفرضوا العالم الجسماني كلّه في ثلاثة عشرة كرة:

١ ـ **الأرض**: وهي المركز الذي تدور عليه جميع الكرات والسيارات والأفلاك والنيران وغيرها.

٢ ـ **الماء**: وهو غير تامّ الاستدارة؛ لانحساره عن الربع المسكون من الأرض، واللازم بعد اكتشاف أمريكا أنّ المسكون أكثر من الربع.

٣ ـ **كرة الهواء**: محيطة بالأرض والماء.

٤ ـ **كرة النار**: تحيط بالجميع.

الشأن في جميع فنون الحكمة، كان يقوّي آراء المتقدّمين، ويحلّ شكوك المتأخّرين والمؤاخذات التي وردت في مصنّفاتهم.

وقيل فيه أيضاً: كان هذا الشيخ أفضل أهل زمانه في العلوم النقلية والعقلية، وهو أُستاذ البشر، والعقل الحادي عشر.

درس في صغره علوم اللغة من نحو وصرف وأدب بعد دراسة القرآن، ثمّ درس الحديث والأخبار، وتوسّع في دراسة الحديث، ودرس المنطق والحكمة، وأتقن علوم الرياضيات من حساب وهندسة وجبر.

قدم العراق، وحضر دروس المحقّق أبي القاسم نجم الدين جعفر بن سعيد الحلّي، كتب ما يناهز مائة وأربعة وثمانين مؤلّفاً ما بين كتب ورسائل، وأجوبة مسائل في متون شتّىٰ في الرياضيات والأخلاق والتفسير والتاريخ والفقه والجغرافية والطب والتربية والتعليم والمنطق والفلسفة والحكمة وعلم الكلام، ومن أشهرها: **شرح الإشارات**، و**تجريد العقائد**، و**قواعد العقائد**.

توفّي في بغداد يوم الغدير سنة ٦٧٢ هـ، ودفن عند الكاظمين عليهما السلام.

آنظر: أعيان الشيعة ٩/ ٤١٤ ـ ٤٢٠.

(١) قال ابن سينا: إنّ الكواكب تنتقل حول الأرض بسبب الأفلاك التي هي مركوزة فيها، لا بأن تنخرق لها أجرام الأفلاك.

الإشارات والتنبيهات ٣/ ١٩٢؛ وثخنه هنا: مجاله ومداره.

٥ ـ فلك القمر : محيط بتلك الكرات ، ومتّصل مقعّره بمحدّبها ، والقمر مركوز في ثخنه .

٦ ـ فلك عطارد .

٧ ـ الزهرة .

٨ ـ الشمس .

٩ ـ المريخ .

١٠ ـ المشتري .

١١ ـ زحل .

١٢ ـ فلك الثوابت .

١٣ ـ الفلك الأطلس : وهو فلك الأفلاك ، ومحرّك الكلّ ، وينتهي عالم الأجسام بنهاية هذا الفلك .

ويقال : إنّ فلك البروج ؛ هو العرش ، وفلك الأفلاك ؛ هو الكرسي ، والله العالم .

وألجأهم ما رصدوه من حركة القمر والسيارات ، وما وجدوه لِما عدا النيرين من الرجوع والإقامة والاستقامة ، وهي الخمسة المتحيّرة[١] ، إلىٰ الالتزام بأنّ كلّ فلك في ضمنه قطعات كالجوزهرات[٢] ، والموائل ،

---

(١) الكواكب المتحيّرة : هي التي ترجع وتستقيم ، وهي خمسة : زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ؛ راجع : معجم المصطلحات العلمية : ٢٣٩ .

(٢) الجوزهر : هو النقطتان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الأفلاك تسمّيان : العقدتين ؛ والجوزهر كلمة فارسية وهي : كوزجهر ، أي صورة الجوز ، وقيل : كوىٰ جهر ، أي صورة الكرة ، والأوّل أصحّ ، ويسمّىٰ أيضاً : التنين ، وهذه صورته

والحوامل ، والمثلات ، وغير ذلك من الفروض التي صارت بها هذه الهيئة البطليموسية[١] «أعقد من ذنب الضبّ»[٢] .

وكان علماء الغرب في القرون التي انبثق فيها نور الإسلام في ظلام دامس ، فلمّا احتكّوا بالمسلمين في الحروب الصليبية ، وفي مدارس قرطبة ، وغيرها من الأندلس فتحوا عيونهم ، وآتّسعت معارفهم من القرن التاسع ، وخاضوا في شتّىٰ العلوم ، وأخصّها الرياضيات ، وكانت الهيئة السائدة عندهم هي هيئة بطليموس ، ومن خالفها أحرقوه وأحرقوا كتبه .

[المذهب الثاني :] ونقل أنّ الفلكي (برنو)[٣] قال بحركة الأرض في القرن العاشر الهجري فأجلوه عن وطنه ، ثمّ سجنوه ستّ سنين ، ثمّ أحرقوه ، وأحرقوا كتبه .

ولكن تأثّر به ، وشيّد رأيه (غاليلو)[٤] بعد القرن العاشر ، فاضطهدوه

في الأصل ، وإحدىٰ العقدتين تسمّىٰ : الرأس والأُخرىٰ تسمّىٰ : الذنب ، وهذا في كلّ فلكين يتقاطعان ، فإذا أُطلق له هذا الاسم عُني به : جوزهر القمر خاصّة ، وهذا الذي يثبت حسابه في التقويم ؛ آنظر : معجم المصطلحات العلمية : ٢٣٥ .

(١) وهي : إنّ الأرض في المركز وتدور حولها باقي الأجرام السماوية في دائرة ، وبسرعة منتظمة . راجع : هامش رقم (١) صفحة ٣٨٨ من هذه الرسالة .

(٢) المستقصىٰ في أمثال العرب ١ / ٢٥٠ رقم ١٠٦٠ .

(٣) برنو : جيوردانوا (١٤٥٨ ـ ١٦٠٠) : فيلسوف ، وعالم رياضيات وفلك إيطالي ، بدأ حياته راهباً دومينيكانياً في نابولي ، ثمّ درّس في باريس وأُكسفورد ، تبنّىٰ نظرية كوبرنيكوس القائلة : بأنّ الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس ، أُتّهم علىٰ أثرها بالزندقة ، وأُعدم في روما إحراقاً بالنار ؛ آنظر : موسوعة المورد ٢ / ١٢٦ .

(٤) غاليلو : غاليليو غاليلي (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) : فيزيائي ، وعالم فلك ورياضيات إيطالي ، يُعتبر في رأي كثير من الباحثين واضع أُسس العلم التجريبي الحديث ، صنع عدّة تلسكوبات ، وآكتشف أقمار المشتري ، أيّد نظرية كوبرنيكوس القائلة :

حتّىٰ كاد أن يهلك.

ولكن بما أنّ الحقيقة تهتك الستور، وتأبىٰ إلّا السفور؛ لذلك انتشر هذا الرأي حتّىٰ صار من المسلّمات التي لا تقبل الشكّ، وخلاصته:

إنّ الأرض كوكب سيّار، وكرة سابحة في هذا الفضاء حول الشمس كسائر الكواكب التي يتألّف منها نظامنا الشمسي، وهي السيارات السبع وغيرها ممّا توصلوا إليه من الدائرات حول الشمس، ولم يكن معروفاً مثل: (فلكان)[1] و(نبتون)[2].

ولها ـ أي الأرض ـ حركتان: **وضعية** و**موضعية**، أي انتقالية؛ فالأُولىٰ دورانها علىٰ محورها نحو الشمس؛ ومنها يحصل الليل والنهار، وتقطع بهذه الحركة في الثانية ٣٠٠ كيلومتر..

والثانية علىٰ الشمس وحولها؛ ومنها تحصل فصول السنة: الربيع، والشتاء، والخريف، والصيف، ومحيطها ٤٠٠٠ كيلومتر، وقطرها ٣٠٠٠، وكلّها تقريبية.

ونسبة حجمها إلىٰ الشمس نسبة الواحد إلىٰ المليون وأربعمائة ألف، وتقطع في حركتها الثانية الدورة في ٣٦٥ يوم، وتطوي في اليوم الواحد أكثر

بأنّ الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس، فنقمت عليه الكنيسة، وحاكمته فاضطر مُرغماً إلىٰ إعلان تراجعة عن هذا التأييد؛ راجع: موسوعة المورد ٤/١٨٧.

(١) كان يسمّىٰ: هيفايستوس عند قدماء اليونان، وعند الرومان بـ: فلكان؛ راجع: الموسوعة العربية الميسّرة: ١٩٢٨.

(٢) ثامن كوكب في البعد عن الشمس، وكان اكتشافه نتيجة لدراسة عدم انتظام حركة الكوكب أورانوس، ويحيط بالكوكب غلاف من غازات الهيدروجين والميثان، وغيرها، وكان اليونانيون يعتبرونه إلٰهاً للبحر، وهو لا يظهر للعين المجرّدة، اكتشف سنة ١٨٤٦، وله قمر واحد؛ راجع: الموسوعة العربية الميسّرة: ١٨٢١.

من خمسمائة ألف فرسخ سابحة في الفضاء، تقرب من الشمس وتبعد عنها في مدار إهليلجي[١] تقريباً.

وهي منتفخة مستديرة في وسطها، مسطّحة في قطبيها، وكروية في الجملة، تستمدّ نورها ـ وسائر السيّارات ـ من الشمس، والشمس تفيض عليها وعلىٰ سائر السيّارات الدائرة حولها النور والحرارة[٢].

ويعجبني ما في بعض الأخبار ـ علىٰ ما يخطر ببالي ـ من قول الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه ممّن يزاول علم النجوم؛ إذ يقول للإمام: إنّ لي في النظر بالنجوم لذّة.

فيقول له ممتحناً: كم تسقي الشمس القمر من نورها؟

فقال: هذا شيء لم أسمعه.

فقال الإمام: كم تسقي الشمس الزهرة من نورها؟

---

(١) الإهليلجي: هو المحلّ الهندسي لنقطة تتحرّك في مستوٍ بحيث يكون مجموع بُعديها عن نقطتين ثابتتين فيه يساوي طولاً معلوماً، وقيل: هي قوسان إذا التقىٰ طرفاهما وديرت دور الكرة بين قطبين مرّة؛ راجع: معجم المصطلحات العلمية: ٢٣٠.

(٢) الأرض: هي الكوكب الذي أوجدنا الله عليه، وهي كرة كبيرة سابحة في الفضاء حول الشمس، مثل سائر الكواكب، بسرعة ٣٠ كيلومتراً ونصف في الثانية الواحدة، ومحيطها ٤٠٠٠٠ كيلومتر، وقطرها ٣٠٠٠ فرسخ، وهي أصغر من الشمس بنحو ميلون وأربعمائة ألف مرّة.

قال الجغرافيون: لهذه الكرة دورتان: دورة رحوية حول محورها من الغرب إلىٰ الشرق، وتتمّها في ٢٤ ساعة، وفائدة ذلك تكوين الليل والنهار، وبمحاذاة أجزائها المختلفة للشمس علىٰ التعاقب.

ولها دورة محيطية، أي حول الشمس، تتمّها في ٣٦٥ يوماً، فتقطع في اليوم الواحد أكثر من نصف مليون فرسخ سابحة في الفضاء.

راجع: دائرة معارف القرن العشرين ١ / ١٨١ ـ ١٨٢.

إلىٰ أن قال الإمام: كم تستقي الشمس من اللوح المحفوظ ؟[١].

فإنّ النور لمّا كان ألطف وأخفّ من الماء، ويجري أشدّ من جريانه؛ فإنّه يطوي في اللحظة الواحدة ملايين من ملايين من الأميال، حسن جدّاً التعبير عن إفاضته علىٰ الأجسام الفاقدة له بـ: السقي والاستقاء.

وفي هذا الخبر معانٍ عميقة، وأسرار دقيقة لا مجال لذكرها هنا، وإنّما الغرض الإشارة إلىٰ بلاغة التعبير بالسقي هنا، ومناسبته للمقام، وأبلغ وأعلىٰ منه كلمة القرآن المجيد عن دوران الكواكب في مداراتها وحركاتها في أفلاكها بقوله عزّ من قائل: ﴿كلّ في فلك يسبحون﴾[٢].

فإنّ هذا الفضاء غير المتناهي، أو الذي لم تصل عقول البشر إلىٰ منتهاه، لمّا كان مملوءاً بالأثير، أو بما هو أشفّ وألطف منه، وهو أرقّ من الماء، أشبه أن يكون كالبحر المتلاطم، والكواكب في جريانها وحركاتها تسبح فيه، وتشقّ عبابه.

وها هنا نكتة بديعة، وهي: إنّ هذه الجملة الصغيرة لفظاً، العظيمة مغزىً، تضمّنت نوعاً من ألطف أنواع البديع، وهو: «ما لا يستحيل بالانعكاس».

وألطف مثال له: النادرة المشهورة في كتب الأدب، وهي: إنّ العماد الكاتب[٣] التقىٰ ببعض أُمراء عصره راكباً فرساً، فقال له بديهة: «سر فلا كبا

---

(١) فرج المهموم ـ لابن طاووس ـ: ٩٨، مستدرك الوسائل ١٣ / ١٠١ ح ١٤٨٩٣.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٣٣.

(٣) هو: القاضي الإمام العلّامة المفتي المنشئ البليغ، الوزير عماد الدين أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن حامد بن محمّد بن عبد الله بن عليّ بن محمود بن هبة الله المعروف بـ: ألْهْ الأصبهاني، الكاتب، ويعرف بـ: ابن أخي العزيز.

بك الفرس». فتنبّه الأمير لنكتته البديعة، وأنّ هذا طرده كعكسه، فأجابه بالمثل فوراً وقال له: «دام علاء العماد»[1].

هذا ما أتخطّره من عهد بعيد، يوم كنّا نطالع كتب الأدب أيام الصبا، وهي في الحقّ، لو كانت مع الفكرة وطول الرؤية، آية في قوّة الفكر، وحدّة الذهن، فكيف لو صحّ أنّها على البديهة؟!

ولكن لا يذهبنّ عنك أنّ البراعة في الآية الشريفة، وعلوّ الإعجاز فيها رعاية مناسبة الجملة للموضوع..

فإنّ الموضوع لمّا كان هو الكوكب الذي يتحرّك في فلكه ومداره حركة مستديرة، ولازمها أن تعود إلى مبدئه، ويدور على نفسه، وطرده كعكسه؛ فالموضوع معنىً موضوع لا يستحيل بالانعكاس؛ فناسب أن يعبّر عنه بجملة: «لا يستحيل بانعكاس» كنفس المعنى والموضوع.

وهذه النكتة غاية في الإعجاز والروعة، ولم يلتفت إليها أحد من الأدباء والمفسّرين.

ونعود إلى ما كنّا فيه، فنقول: تلك لمحة من حال أرضنا ونظامنا الشمسي، أمّا الثوابت عند أهل هذه الهيئة، فهي شموس أيضاً في الفضاء، ولكلّ واحد منها أقمار وأراضي، وتوابع وأنظمة، وكلّ واحدة من تلك

ولد سنة ٥١٩ هـ بأصبهان، كان فقيهاً شافعي المذهب، قدم بغداد، وتفقّه بالمدرسة النظامية، وبرع في الفقه على أبي منصور سعيد بن الرزّاز، وأتقن العربية.
اشتهر ذكره، وصنّف التصانيف، منها: **خريدة القصر وجريدة العصر**، **البرق الشامي**، **الفتح القُسّي في الفتح القدسي**، **السيل والذيل**، و**نصرة الفترة**.
توفّي في أوّل رمضان سنة ٥٧٧ هـ، ودفن بمقابر الصوفية.
آنظر: وفيات الأعيان ٥/١٤٧ ـ ١٥٢، سير أعلام النبلاء ٢١/٣٤٥ ـ ٣٤٨.

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٤٧.

الشموس أكبر من شمسنا هذه بأُلوف الملايين حسب ما اكتشفوه بالآلات الجديدة، والأرصاد المستخدمة، والتلسكوبات الجبّارة.

وقد وزنوا النور، وضبطوا مقادير سيرها وانعكاساتها، وجاؤوا بالأعاجيب المدهشة، مع اعترافهم بأنّ نسبة ما عرفوه وآكتشفوه من تلك العوالم الشاسعة النيّرة إلىٰ ما جهلوا، نسبة الومضة إلىٰ بركان النور، والقطرة إلىٰ البحور.

ولكن كلّ ما اكتشفوه بآلاتهم وأرصادهم تجد الإشارة إليه في القرآن العظيم، وأخبار أئمّتنا عليهم السلام، حتّىٰ كون النور، وأنّه ممّا يُوزن، وله مقادير معيّنة، أشار إليه الخبر المتقدّم بقوله: «كم تسقي الشمس الأرض من نورها؟»؛ حيث يدلّ علىٰ أنّ النور له كمّية ومقدار تفيضه الشمس علىٰ الأرض[1].

والخلاصة: إنّ حركة الأرض، وسائر ما برهنت عليه الهيئة الجديدة، وهو الموافق للقرآن الكريم، والسُنّة النبوية، ولا سيّما أخبار أئمّتنا عليهم السلام، وهو ممّا يحتاج إلىٰ مؤلِّف أو مؤلّفات.

الأمر الثالث: ممّا يتعلّق بالأرض.

إنّ الرياضيين من المسلمين، بل وغيرهم، فرضوا علىٰ الفلك المحيط بالأرض، وما فوقها من الأفلاك، علىٰ طريقتهم دوائر عظام وصغار.

والدائرة العظيمة عندهم هي التي تقسم الكرة نصفين متساويين،

---

(١) آنظر: دائرة معارف القرن العشرين ٥/٤٠٨ ـ ٤٠٩.

والدوائر العظام عشرة، أهمّها:

دائرة المعدل المفروضة على الفلك الأعلى، وتقسم الأرض إلى نصف جنوبي، وآخر شمالي.

ودوائر منطقة البروج، المنتزعة من سير الشمس السنوي على البروج الاثني عشر من الحمل إلى الحوت..

وموضع التقاطع في نقطتين بينهما وبين الأُولى يسمّيان: الاعتدال الربيعي والخريفي، وأبعد نقطتين بينهما: نقطتا الانقلابين: الصيفي إلى الشمال، والشتوي إلى الجنوب.

والثالثة من الدوائر العظام: دائرة نصف النهار، التي تمرّ على سمت الرأس والقدم، وتقسم الفلك والأرض إلى قسمين: شرقي وغربي، وتقاطع الأُولى والثانية في نقطتين... إلى آخر ما ذكر في كتب الهيئة، ممّا ليس الغرض بيانه، وإنّما المقصود بيان أنّهم ذكروا أنّ المعمور من الأرض هو الربع الشمالي فقط، من خطّ الاستواء إلى ما يقرب من القطب الشمالي، وقسّموه إلى الأقاليم السبعة، مبتدئين من جزائر الخالدات من المغرب[1].

أمّا علماء الغرب فقسّموا هذا الربع المعمور إلى القارّات الثلاث قبلاً، وهي آسيا وأفريقيا وأُوربا، ثمّ أضافوا إليها الرابعة استراليا، بعد اكتشاف أمريكا.

فصارت القارّات اليوم خمسة، وهي عبارة عن مجموع ما على هذه الكرة التي نحن عليها من البلدان والعمارات.

---

(١) راجع: تاريخ ابن خلدون ١/٥٦ وما بعدها، باب تفصيل الكلام على بدء الجغرافية، دائرة معارف القرن العشرين ١/١٨٦ ـ ١٨٧.

ثمّ إنّ القرآن ينصّ على أنّ الأرضين سبعة ؛ حيث يقول جلّ شأنه : **﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ﴾**[١] .

وقد اختلف الفقهاء والمفسّرون في تعيين الأراضي المشار إليها بالآية الكريمة بين ذاهب إلى أنّها الأقاليم السبعة[٢] ، وآخر أنّها طبقات الأرض ، وهي بعضها متّصل ببعض لا فرجة بينهما[٣] ، وقيل : سبع بين كلّ واحدة إلى الأُخرى مسيرة خمسمائة عام ، وفي كلّ أرض منها خلقٌ حتّى قيل : في كلّ واحد منها آدم وحواء ، ونوح وإبراهيم[٤] .

وقد يوجد بعض هذا في بعض الأخبار ، ولكنّ الأرجح منه إرادة الطبقات الأرضية ؛ فقد ذكر علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) : أنّها تتكوّن من طبقة طينية ومعدنية ، وطبقة الأدخنة والأبخرة ، وطبقة نارية تنفجر منها البراكين النارية ، وطبقة الجليد والزمهرير[٥] .

ولكنّ الأصحّ من هذا كلّه ، والأحرى بالاعتبار ما ورد في بعض الأخبار في تفسير هذه الآية عن الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام ؛ فإنّ الرضا أجاب من سأله عن ترتيب السماوات السبع ، والأرضين السبع ، فقال : هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبّة ، والأرض الثانية [فوق] السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبّة ، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء

---

(١) سورة الطلاق ٦٥ : ١٢ .
(٢) تفسير الرازي ٣٠ / ٤١ .
(٣) تفسير الماوردي ٦ / ٣٦ .
(٤) تفسير الطبري ١٢ / ١٤٥ و ١٤٦ ، الدرّ المنثور ٨ / ٢١١ .
(٥) دائرة معارف القرن العشرين ١ / ١٩٠ .

الثالثة فوقها... إلىٰ آخر الخبر[١]، وفي بعضها أنّه عليه السلام وضع يده فوق الأُخرىٰ تمثيلاً[٢].

ومن الأدعية الشائعة المعتبرة وذوات الشأن: المعروف بـ: دعاء الفرج، المستحبّ في قنوت النوافل والفرائض: «اللّهمّ ربّ السماوات السبع، وربّ الأرضين السبع وما فيهنّ وما بينهنّ، وربّ العرش العظيم»[٣].

وفي بعض خطب **النهج**: «الحمد لله الذي لا يوارىٰ عنه سماء سماءً ولا أرض أرضاً»[٤].

ويظهر من هذه الفقرات المتعالية، ومن الآية الشريفة، بل صريحها: إنّ هذه الأراضي السبع منفصل بعضها عن بعض، بل يظهر أو صريح جملة من أخبار أُخرىٰ منها أنّ فيها خلائق وسكّان، ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿**يتنزّل الأمر بينهنّ**﴾..

كما يظهر من جملة أُخرىٰ أنّ الأراضي والكواكب السيّارة أكثر من سبع عوالم سيّارات، وأراضي تتجاوز مئات الأُلوف كلّها موجودة فعلاً، ولا يحصي عددها إلّا الله عزّ شأنه وجلّت عظمته.

الأمر الرابع: في مبدإ تكوين الأرض.

الذي يظهر من مجموع آثار الشريعة الإسلامية، ومن بعض خطب **النهج**: «إنّ العالم الجسماني كلّه، سماواته وأرضوه خُلقت من زبد البحر،

---

(١) تفسير القمّي ٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٢) مجمع البيان ـ للطبرسي ـ ١٠/ ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) إقبال الأعمال ١/ ١١٦، تهذيب الأحكام ٢/ ١٠٧ ح ٣٦٦.
(٤) نهج البلاغة: ٢٤٦ رقم الخطبة ١٧٢.

وأنّ أوّل ما خلق الله من الأجسام هو الماء»[١].

ولعلّه يشير إلىٰ غاز أثيري شفّاف من أحد العناصر، وآنضمّ إليه عنصراً آخر عبّرت عنه الشريعة بالدخان والزبد؛ تقريباً للأذهان، ثمّ خُلقت منه الكواكب والأرضون خلقاً استقلالياً، لا اشتقاقاً توليدياً.

نعم، يظهر من علماء الغرب أنّ الأرض شعلة انفصلت من الشمس قبل آلاف الملايين، ثمّ بردت وجمدت قشرتها الأُولىٰ بحيث صارت صالحة للسكنىٰ والانتفاع، والقمر قطعة من الأرض؛ فالأرض بنت الشمس، والقمر ابن الأرض[٢]، وكلّ هذا حدس وتخمين وأحلام، ولكنّها أحلام جميلة.

الأمر الخامس: في نهاية الأرض.

وقد ذكر الكثير من الفلاسفة الأقدمين والمتجدّدين أنّ هذه الأرض لا بُدّ وأن تنتهي إلىٰ الفناء والتلاشي، وذكروا أسباباً متعدّدة لذلك، منها: اصطدامها بمذنّب يجعلها هباءً منثوراً، كما اصطدمت بمذنّب في طوفان نوح حيث دفعها إلىٰ البحار المحيطة ففاضت البحار عليها وأغرقتها[٣].

---

(١) آنظر: نهج البلاغة: ١٣١ وما بعدها.

(٢) راجع: دائرة معارف القرن العشرين ١ / ١٨٥.

(٣) يقول علماء الهيئة: إنّ الأرض يتوقّع لها الفناء من ثلاثة أسباب رئيسية:

١ ـ **البرودة الذاتية**: هي حادث طبيعي ذاتي طرأ علىٰ قشرتها الظاهرة لانفصالها عن الشمس، وهو لا يزال عاملاً فيها، فإنّ أمر الأرض سينتهي ولو بعد أُلوف من السنين بالبرودة المطلقة، فتجمد بحارها وأنهارها، وتصبح الجهات الواقعة في خطّ استوائها كالجهات الواقعة في قطبيها فلا يستطيع أن يعيش عليها حيوان ولا نبات.

قالوا: وقد كانت الأرض جهة القطبين حارّة، ثمّ طرأت عليها البرودة، ولا شبهة

في أنّ برودة القطبين آخذة في الامتداد طاردة أمامها الحيوان والنبات إلىٰ جهات خطّ الاستواء .

٢ ـ **برودة الشمس** : إنّ الشمس لمّا كانت كتلة في حالة التهاب فلا يعقل أنّ حرارتها تدوم علىٰ طول الآماد ، ولا بُدّ من طروء البرودة عليها ، وإذ ذاك تموت جميع العوالم الموجودة في الكواكب الدائرة حولها .

٣ ـ **اصطدامها بنجم ذي ذنب** : هذا سبب عرضي لا يعرف له قانون ولا ينظر له ميعاد ؛ قالوا : إنّ في مجموعنا الشمسي عدداً لا يُحصىٰ من نجوم ذوات أذناب ، وهي كتل تختلف في الأحجام ، مكوّنة من صخور ورمال ، تجرّ وراءها ذيلاً من غاز علىٰ بعد عشرات بل مئات الكيلومترات ، وهذه النجوم لها مدارات مختلفة في أشكال بيضية مستطيلة ، وكثيراً ما تظهر فجأة بين الكواكب متّبعة سيراً خاصّاً قد يؤدّي أحياناً إلىٰ حدوث مصادمة بينها وبين بعض تلك الكواكب ، فإذا كان المذنّب صغيراً ارتجّ بمصادمة ذلك الكوكب فحدث عليه أحداث تختلف باختلاف قوّة تلك المصادمة ، وإذا كان كبيراً تفتّت به ذلك الكوكب وتطايرت شظاياه في الجوّ شذر مذر . .

قالوا : وفي السماء قطع صغيرة سابحة في الفضاء تقترب وتبتعد عن الأرض والكواكب الأخرىٰ فتنجذب إليها إذا دخلت في سلطان جاذبيّتها ، وهي المسمّاة بـ : « بالنيازك » ، ولا يبعد بل يرجّح أنّ هذه القطع هي بقايا كوكب صادمه مذنّب فحطّمه تحطيماً .

وقالوا : يرجّح إنّ الطوفان الذي حدث في الأرض في عصر نوح ـ ولا تزال آثاره باقية ، فأطغىٰ الماء علىٰ الأرض ـ هو نتيجة مصادمة مذنّب للكرة الأرضية ، فحدث من تلك المصادمة أن ارتجّت وآضطرب معها ماء البحر وطغىٰ علىٰ اليابسة .

وقد جاء في الآيات الكريمة ما يشير إليه ؛ قال تعالىٰ : ﴿ **يومَ تمورُ السماءُ موراً * وتسيرُ الجبالُ سيراً * فويلٌ يومئذٍ للمكذّبينَ** ﴾ . سورة الطور ٥٢ : ٩ ـ ١١ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا نُفخَ في الصورِ نفخةٌ واحدةٌ * وحُملتِ الأرضُ والجبالُ فدُكّتا دكّةً واحدةً * فيومئذٍ وقعتِ الواقعةُ** ﴾ سورة الحاقّة ٦٩ : ١٣ ـ ١٥ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإذا النجوم طُمست * وإذا السماء فُرجت * وإذا الجبال نُسفت** ﴾ . سورة المرسلات ٧٧ : ٨ ـ ١٠ .

ويشهد لهذا ـ أي لتلاشي الأرض ـ كثير من آيات الفرقان المجيد، منها قوله: ﴿**إذا رُجّت الأرض رجّاً * وبُسّت الجبال بسّاً * فكانت هباءً منبثّاً**﴾[1].

ولا شكّ أنّها ترتجّ باصطدامها بقوّة هائلة من مذنّب أو نحوه، وحينئذٍ تبسّ الجبال ـ أي تتفتّت ـ ثمّ تطير وتصير هباءً في الفضاء[2]، وهكذا الشمس والسماء والنجوم: ﴿**إذا الشمس كُوّرت * وإذا النجوم انكدرت**﴾[3]، وتكويرها: انطفاء نورها، وبرودة حرارتها، وخمود نارها، وهكذا النجوم[4]؛ فسبحان وارث السماوات والأرضين، وما فيها ومَن عليها.

وحيث بلغ بنا الحديث إلىٰ نهاية الأرض؛ فلينتهي ما أردناه من القول عن الأرض، وبعض شؤونها وأحوالها.

وقد جرىٰ القلم بما ذكرناه علىٰ رسل الذهن، وهفو الخاطر، ومن المعلوم العتيد، والملحوظات القديمة، شاكرين حامدين لله فضله علينا

وغيرها؛ ومن هنا تبيّن إنّ في القرآن الكريم ما يشير إلىٰ الرأي العلمي القائل بإمكان فناء الأرض بمصادمة كوكب من ذوات الأذناب، والله أعلم.

راجع: دائرة معارف القرن العشرين ١/١٨٨ ـ ١٩٠.

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٣ ـ ٥.

(٢) تفسير الطبري ١١/٦٢٤، تفسير القرطبي ١٧/١٢٨..

وقال الرازي: إشارة إلىٰ أنّ الأرض تتحرّك بحركة مزعجة، والجبال تتفتّت، فتصير الأرض المنخفضة كالجبال الراسية، والجبال الشامخة كالأرض السافلة، كما يفعل هبوب الريح في الأرض المرملة؛ راجع: تفسير الرازي ٩/ ١٤٠.

(٣) سورة التكوير ٨١: ١ و ٢.

(٤) تفسير الطبري ١٢/٤٥٦ ـ ٤٥٧، تفسير الماوردي ٦/٢١١ ـ ٢١٢، تفسير البغوي ٤/٤١٩، تفسير الرازي م ١٦/٦٧ ـ ٦٨، تفسير الثعلبي ١٠/١٣٦ ـ ١٣٧.

بتوفيقه وألطافه، وذاكرين بالخير والجميل من حرّك قلمنا بعد الهود، وأفكارنا بعد الجمود، مع شدّة المحن، وتهاجم الأرزاء علينا، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

اللّهمّ عليك توكّلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

وكان ختام هذه النُبذة يوم الرابع من ذي القعدة الحرام ١٣٦٥ هـ في مدرستنا العلمية في النجف الأشرف.

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

مصادر التوثيق والتعضيد

١ ـ **القرآن الكريم** .

٢ ـ **الآثار الباقية عن القرون الخالية** ، لأبي الريحان محمّد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠) دار صادر ـ أُفسيت ـ على طبعة أوربا لايبزك ١٩٢٣ .

٣ ـ **إثبات الوصية** ، لهاشم بن سليمان البحراني ، (ت ١١٠٧) .

٤ ـ **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان** ، لعليّ بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٧ .

٥ ـ **أحكام القرآن** ، لأبي بكر أحمد بن عليّ الرازي الجصّاص (ت ٣٧٠) تحقيق صدقي محمّد جميل ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٦ ـ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** ، لأحمد بن محمّد القسطلاني (ت ٩٢٣) ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ .

٧ ـ **إرشاد القلوب** ، لأبي محمّد الحسن بن أبي الحسن بن محمّد الديلمي (من أعلام القرن الثامن) .

٨ ـ **أساس البلاغة** ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥ .

٩ ـ **الاستبصار** ، للشيخ الطوسي أبي جعفر محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٩٠ .

١٠ ـ **الاستيعاب** ، لابن عبد البرّ القرطبي (ت ٤٦٣) ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .

١١ ـ **أُسد الغابة** ، لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠) ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩ .

١٢ ـ **الإشارات والتنبيهات** ، لأبي عليّ ابن سينا (ت ٤٢٨) ، تحقيق سليمان دنيا ، مؤسّسة النعمان ، بيروت ١٤١٣ .

١٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ،

تحقيق علي محمّد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .

١٤ ـ **أصل الشيعة وأُصولها** ، لمحمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣) ، تحقيق علاء آل جعفر ، مؤسّسة الإمام عليّ ، قم ١٤٥١ .

١٥ ـ **الأعلام** ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٧ .

١٦ ـ **إعلام الورىٰ** ، لأبي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ١٤١٧ .

١٧ ـ **أعلام النبوّة** ، لأبي حاتم الرازي ، تحقيق صلاح الصاوي ، أُفسيت ، انتشارات أنجمن ، طهران ١٣٩٧ .

١٨ ـ **أعيان الشيعة** ، للسيّد محسن الأمين (ت ١٣٩٠) ، تحقيق حسن الأمين ، دار المعارف ، بيروت ١٤٠٦ .

١٩ ـ **الأغاني** ، لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمّد الأصفهاني (ت ٣٥٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢ .

٢٠ ـ **إقبال الأعمال** ، للسيّد رضي الدين عليّ بن موسىٰ بن جعفر بن طاووس الحلّي (ت ٦٤٤) ، تحقيق جواد القيومي ، مركز النشر التابع لمكتب الأعلام ، قم ١٤١٨ .

٢١ ـ **الأمالي** ، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسّسة البعثة ، دار الثقافة ، قم ١٤١٤ .

٢٢ ـ **أنساب الأشراف** ، لأحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩) ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦ .

٢٣ ـ **الباقيات الصالحات** ، لعبد الباقي بن سليمان العمري.

٢٤ ـ **بحار الأنوار** ، للشيخ محمّد باقر المجلسي ، مؤسّسة الوفاء ، بيروت ١٤٠٣ .

٢٥ ـ **بدائع الزهور ووقائع الدهور** ، لمحمّد بن أحمد بن أياس الحنفي ، المكتبة الحديثة ، بيروت ١٤١٢ .

٢٦ ـ **البداية والنهاية** ، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

٢٧ ـ **البيان والتبيين** ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، دار الجيل ، بيروت .

٢٨ ـ **تاج العروس** ، لمحب الدين محمّد مرتضىٰ الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥) ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٢٩ ـ **تاريخ ابن خلدون** ، لعبد الرحمٰن بن خلدون (ت ٨٠٨) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣ .

٣٠ ـ **تاريخ الأُمم والملوك** ، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨ .

٣١ ـ **تاريخ بغداد** ، للخطيب البغدادي أحمد بن عليّ (ت ٤٦٣) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٢ ـ **تاريخ دمشق** ، لابن عساكر عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١) ، تحقيق محبّ الدين أبي سعيد ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٧ .

٣٣ ـ **التاريخ الكبير** ، لمحمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٤ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، المعروف بـ: اليعقوبي (ت ٢٩٢) ، تحقيق عبد الأمير مهنّا ، مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٩٩٣ .

٣٥ ـ **تحفة الأحوذي** ، لأبي عبدالله نعيم بن حمّاد المروزي (ت ٢٢٩) ، تحقيق الدكتور سهيل زكّار ، المكتبة التجارية ، مكّة المكرّمة .

٣٦ ـ **التذكار** ، لأبي عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٨ .

٣٧ ـ **تذكرة الحفّاظ** ، لأبي عبدالله شمس الدين محمّد الذهبي (ت ٧٤٨) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٨ ـ **تذكرة الخواص** ، لسبط ابن الجوزي يوسف بن فرغلي البغدادي (ت ٦٥٤) ، أُفسيت ، منشورات الشريف الرضي ، قم ١٤١٨ .

٣٩ ـ تذكرة الفقهاء ، للعلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (ت ٧٢٦) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ١٤١٤ .

٤٠ ـ تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، لأبي محمّد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشافعي (ت ٥١٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ .

٤١ ـ تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ، لأبي إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧) ، تحقيق أبي محمّد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٢ .

٤٢ ـ تفسير الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١) ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٤٣ ـ تفسير الطبري ، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ .

٤٤ ـ تفسير فخر الدين الرازي ، لمحمّد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦) ، تحقيق خليل محيي الدين ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٤٥ ـ تفسير القرطبي ، لأبي عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ .

٤٦ ـ تفسير القمّي ، لعلي بن إبراهيم القمّي (من أعلام القرن الثالث الهجري) ، مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤١٢ .

٤٧ ـ تفسير الماوردي ، لأبي الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠) ، تحقيق السيّد بن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٨ ـ تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، لأبي بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني (ت ٤٠٣) ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسّسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٤٠٧ .

٤٩ ـ التنبيه والإشراف ، لأبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت ٣٤٦) ، أُفسيت على طبعة بريل ، دار صادر ، بيروت ١٨٩٣ .

٥٠ ـ تهذيب الأحكام ، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٩٠ .

٥١ ـ الثاقب في المناقب، لأبي جعفر محمّد بن عليّ الطوسي، المعروف بـ: ابن حمزة (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق نبيل رضا علوان، مؤسّسة أنصاريان، قم ١٤١٢.

٥٢ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠.

٥٣ ـ جامع الأحاديث الكبير، لجلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي (ت ٩١١)، دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٥٤ ـ جامع المقاصد في شرح القواعد، لعليّ بن الحسين بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم/بيروت ١٤١١.

٥٥ ـ الجمع بين الصحيحين، لمحمّد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨)، تحقيق عليّ حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩.

٥٦ ـ جواهر الكلام، لمحمّد حسن النجفي (ت ١٢٦٦)، مؤسّسة المرتضىٰ العالمية ودار المؤرّخ العربي، بيروت ١٤١٢.

٥٧ ـ الحدائق الناضرة، ليوسف البحراني (ت ١١٨٦)، مطبعة النجف ١٣٧٦.

٥٨ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩ ـ الخصائص الكبرىٰ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠ ـ خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.

٦١ ـ الخلاف، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٧.

٦٢ ـ دائرة معارف القرن العشرين، لمحمّد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩.

٦٣ ـ **دعائم الإسلام**، لأبي حنيفة النعمان، تحقيق آصف بن علي، دار المعارف ١٣٨٣.

٦٤ ـ **دلائل النبوّة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (ت ٤٥٨)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣.

٦٥ ـ **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ**، لأحمد بن محمّد، الشهير بـ: المحبّ الطبري المكّي (ت ٦٩٤)، تحقيق أكرم البوشي ومحمود الأرناؤوط، مكتبة الصحابة، جدّة ١٤١٥.

٦٦ ـ **الذخائر القدسية في زيارة خير البرية**، لعبد الحميد بن محمّد أقدس بن الخطيب.

٦٧ ـ **الذريعة**، للشيخ آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٨).

٦٨ ـ **ربيع الأبرار**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، تحقيق الدكتور سليم النعيمي، منشورات الشريف الرضي، أُفسيت، قم ١٤١٠.

٦٩ ـ **رسائل المرتضىٰ**، للسيد المرتضىٰ علم الهدىٰ أبو القاسم عليّ بن الحسين (ت ٤٣٦)، دار القرآن الكريم، قم ١٤٠٥.

٧٠ ـ **الرسالة السعدية**، للعلّامة الحلّي (ت ٧٢٦)، تحقيق عبد الحسين محمّد عليّ البقّال، قم ١٤١٠.

٧١ ـ **الرواشح السماوية**، المير محمّد باقر الحسيني المرعشي الداماد، منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي، قم ١٤٠٥.

٧٢ ـ **الرياض النضرة**، للمحبّ الطبري (ت ٦٩٤)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣ ـ **زين الفتىٰ في شرح سورة هل أتىٰ**، لمحمّد بن محمّد بن عليّ العاصمي (ت ٣٧٨)، تحقيق محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم.

٧٤ ـ **سُنن ابن ماجة**، لمحمّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥)، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥ ـ **سُنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥)، دار الجيل، بيروت ١٤١٢.

٧٦ ـ **سُنن الترمذي**، لمحمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (ت ٢٧٨)، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٧ ـ **سُنن الدارمي**، لأبي محمّد عبدالله بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥)، دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٧٨ ـ **سُنن سعيد بن منصور**، لسعيد بن منصور بن شعبة المكّي (ت ٢٧٧)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥.

٧٩ ـ **السُنن الكبرىٰ**، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، دار الفكر، بيروت.

٨٠ ـ **سُنن النسائي**، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣)، دار الجيل، بيروت.

٨١ ـ **سير أعلام النبلاء**، للذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٤١٤.

٨٢ ـ **السيرة النبوية**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري (ت ٢١٣)، تحقيق طٰه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت ١٤١٢.

٨٣ ـ **شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام**، للمحقق الحلّي جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦)، مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٩.

٨٤ ـ **شرح البداية في علم الدراية**، للشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (ت ٩٦٥)، تحقيق عبد الحسين محمّد عليّ البقّال، أُنسيت، طهران ١٤٠٢.

٨٥ ـ **شرح الأخبار**، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي (ت ٣٦٣)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٤.

٨٦ ـ **شرح نهج البلاغة**، لعز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ١٩٩٦.

٨٧ ـ **صحيح البخاري** ، لمحمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

٨٨ ـ **صحيح مسلم** ، لمسلم بن الحجّاج القشيري (ت ٢٦١) ، دار الجيل ، بيروت .

٨٩ ـ **الصراط المستقيم** ، لأبي محمّد بن عليّ بن يونس العاملي النباطي (ت ٨٧٧) ، تحقيق محمّد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، ١٣٨٤ .

٩٠ ـ **الضعفاء والمتروكين** ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن عليّ الجوزي (ت ٥٩٧) ، تحقيق أبو الفداء عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ .

٩١ ـ **الطبقات الكبرىٰ** ، لمحمّد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠) ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ .

٩٢ ـ **طبقات المحدّثين بأصبهان** ، لأبي محمّد عبدالله بن محمّد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأنصاري (ت ٣٦٩) ، تحقيق عبد الغفور عبد الحق ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧ .

٩٣ ـ **العقد الفريد** ، لأبي عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٧) ، تحقيق أحمد أمين ، دار الأندلس ، بيروت ١٤١٦ .

٩٤ ـ **علل الشرائع** ، للشيخ الصدوق محمّد بن علي بن بابويه القمّي (ت ٣٨١) ، دار الحجّة الثقافية ، قم ١٤١٦ .

٩٥ ـ **فتح القدير** ، لمحمّد بن عليّ الشوكاني (ت ١٢٥٠) ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣ .

٩٦ ـ **الفتوح** ، لأحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ .

٩٧ ـ **الفتن** ، لأبي عبدالله نعيم بن حمّاد المروزي (ت ٢٢٩) ، تحقيق الدكتور سهيل زكّار ، المكتبة التجارية ، مكّة المكرّمة .

٩٨ ـ **فرائد السمطين**، لإبراهيم بن محمّد الجويني الخراساني (ت ٧٢٢)، تحقيق محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة المحمودي، بيروت ١٣٩٨.

٩٩ ـ **فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم**، لعليّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحلّي (ت ٦٤٤).

١٠٠ ـ **فردوس الأخبار**، لشيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي (ت ٥٠٩)، دار الفكر، بيروت ١٤١٨.

١٠١ ـ **فضائل الصحابة**، لأحمد بن محمّد بن حنبل (ت ٢٤١)، تحقيق وصي الله بن محمّد بن عياش، دار ابن الجوزي، جدّة ١٤٢٠.

١٠٢ ـ **الفهرست**، لأبي الفرج محمّد بن أبي يعقوب، المعروف بـ: النديم (ت ٣٨٠)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.

١٠٣ ـ **فيض القدير**، لمحمّد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١)، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٥١.

١٠٤ ـ **القاموس المحيط**، لمجدالدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت.

١٠٥ ـ **قصص الأنبياء**، لأبي إسحاق أحمد بن محمّد النيسابوري، المعروف بـ: الثعلبي (ت ٤٢٧)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤.

١٠٦ ـ **قواعد الأحكام**، للعلّامة الحلّي (ت ٧٢٦)، تحقيق ونشر مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٣.

١٠٧ ـ **الكافي**، لمحمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨)، دار الأُسوة، إيران ١٣٧٦.

١٠٨ ـ **كامل الزيارات**، لأبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه (ت ٣٦٧)، طبع في المطبعة المباركة المرتضوية، النجف الأشرف ١٣٥٦.

١٠٩ ـ **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير عليّ بن أبي الكرم محمّد (ت ٦٣٠)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥.

١١٠ ـ **كتاب الأُم**، لأبي عبدالله محمّد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤)، تحقيق محمود مطرجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣.

١١١ ـ **كشف الظنون** ، لمصطفىٰ بن عبد الله الرومي الحنفي ، الشهير بـ: الملّا كاتب (ت ١٠٦٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣ .

١١٢ ـ **كشف الغمّة** ، لعليّ بن عيسىٰ بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣) .

١١٣ ـ **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب** عليه السلام ، لمحمّد بن يوسف الكنجي الشافعي ، تحقيق محمّد هادي الأميني ، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام ، طهران ١٤٠٤ .

١١٤ ـ **كنز العمّال** ، لعليّ المتّقي الهندي (ت ٩٧٥) ، تحقيق بكر حيّاني وصفوت السقّا ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣ .

١١٥ ـ **الكنىٰ والألقاب** ، للشيخ عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩) ، مكتبة الصدر ، طهران ١٤٠٩ .

١١٦ ـ **لسان العرب** ، لابن منظور محمّد بن مكرّم (ت ٧١١) ، تحقيق عليّ شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ .

١١٧ ـ **لسان الميزان** ، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤٠٦ .

١١٨ ـ **اللمعة الدمشقية** ، للشهيد الأوّل محمّد بن جمال الدين مكّي العاملي (ت ٧٨٦) ، دار القلم الإسلامي ، بيروت .

١١٩ ـ **مثير الأحزان** ، ابن نما الحلّي محمّد بن جعفر (ت ٦٤٥) ، منشورات المطبعة الحيدرية ، نجف ١٣٦٩ .

١٢٠ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، للفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨) ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

١٢١ ـ **مجمع الزوائد** ، لعليّ بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨ .

١٢٢ ـ **المجموع شرح المهذب** ، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦) ، دار الفكر ، بيروت .

١٢٣ ـ **مجموعة رسائل** ، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥) ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٠ .

١٢٤ ـ مدينة المعاجز، لهاشم البحراني، تحقيق عز الله المولائي، مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١٣.

١٢٥ ـ مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح، للملّا علي القاري (ت ١٠١٤)، تحقيق صدقي محمّد جميل العطّار، دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

١٢٦ ـ مروج الذهب، لأبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت ٣٤٦)، دار الأندلس، بيروت ١٤١٦.

١٢٧ ـ المزار، لمحمّد بن المشهدي، تحقيق جواد القيّومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٩.

١٢٨ ـ مسارّ الشيعة، للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣)، دار المفيد، بيروت ١٤١٤ (ضمن سلسلة الشيخ المفيد).

١٢٩ ـ مسالك الأفهام، لزين الدين بن عليّ العاملي (ت ٩١١)، تحقيق ونشر مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم.

١٣٠ ـ المستدرك على الصحيحين، لمحمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٦)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١.

١٣١ ـ مستدرك سفينة البحار، لعليّ النمازي (ت ١٤٠٥)، تحقيق حسن بن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٨.

١٣٢ ـ مستدرك الوسائل، للميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠)، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ١٤١١.

١٣٣ ـ المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

١٣٤ ـ مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري، المشهور بـ: أبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤)، دار المعرفة، بيروت.

١٣٥ ـ المسند، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، دار صادر، بيروت.

١٣٦ ـ المسند، لأبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤١٠.

١٣٧ ـ مصباح المتهجّد ، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) ، مؤسّسة فقه الشيعة ، بيروت ١٤١١ .

١٣٨ ـ مصابيح السُنّة ، لأبي محمّد الحسن بن مسعود بن محمّد الفرّاء البغوي (ت ٥١٦) ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي ومحمّد سليم وجمال حمدي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٧ .

١٣٩ ـ المصنّف ، لعبد الرزّاق بن همّام الصنعاني (ت ٢١١) ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٤ .

١٤٠ ـ المصنّف في الأحاديث ، لمحمّد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥) ، تحقيق سعيد اللحّام ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩ .

١٤١ ـ معرفة الصحابة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠) ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن ، الرياض ١٤١٩ .

١٤٢ ـ المعجم الصغير ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ .

١٤٣ ـ المعجم الكبير ، للطبراني (ت ٣٦٠) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٤٤ ـ معجم المصطلحات العلمية والعربية ، للدكتور فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩٠ .

١٤٥ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢) ، دار الفكر ، بيروت .

١٤٦ ـ معجم المؤلّفين ، لعمر رضا كحّالة ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٣ .

١٤٧ ـ معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٢) ، تحقيق شهاب الدين أبي عمر ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥ .

١٤٨ ـ مقتل الحسين عليه السلام ، للخوارزمي أبي المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّي (ت ٥٦٨) ، تحقيق محمّد السماوي ، أنوار الهدىٰ ، قم ١٤١٨ .

١٤٩ ـ المقنعة ، للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣) ، دار المفيد ، بيروت ١٩٩٣ .

١٥٠ ـ الملل والنحل، لأبي الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥١ ـ الملهوف في قتلىٰ الطفوف، لأبي القاسم علي بن موسىٰ بن جعفر ابن طاووس الحلّي (ت ٦٦٤)، تحقيق فارس تبريزيان، دار الأُسوة، قم ١٤١٤.

١٥٢ ـ المناقب، للخوارزمي (ت ٥٦٨)، تحقيق مالك المحمودي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤١١.

١٥٣ ـ المناقب، للمغازلي، عليّ بن محمّد الشافعي (ت ٤٨٣)، دار الأضواء، بيروت ١٤١٢.

١٥٤ ـ المنتظم في تواريخ الملوك والأُمم، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن عليّ الجوزي (ت ٥٩٧)، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت ١٤١٥.

١٥٥ ـ منتهىٰ المطلب، للعلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (ت ٧٢٦).

١٥٦ ـ من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠.

١٥٧ ـ الموسوعة العربية الميسّرة، دار الشعب ومؤسّسة فرانكلين ١٩٦٥.

١٥٨ ـ موسوعة المورد، لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠.

١٥٩ ـ الموطّأ، لمالك بن أنس (ت ١٧٩)، تحقيق نخبة من العلماء، دار الجيل، بيروت ١٤١٤.

١٦٠ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد والدكتور عبد الفتّاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦.

١٦١ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخواطر، للحسين بن محمّد بن الحسن بن نصر الحلواني (من أعلام القرن الخامس)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

١٦٢ ـ نظم درر السمطين، لمحمّد بن يوسف الزرندي (ت ٧٥٠)، سلسلة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، ١٣٧٧.

١٦٣ ـ النهاية، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠.

١٦٤ ـ النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري (ت ٦٠٦)، تحقيق محمود محمّد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦٥ ـ نهج البلاغة، للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤١١.

١٦٦ ـ الوافي، للفيض الكاشاني محمّد بن مرتضىٰ (ت ١٠٩١)، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، أصفهان ١٤٠٦.

١٦٧ ـ وسائل الشيعة، للحرّ العاملي (ت ١١٠٤)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم / بيروت ١٤١٣.

١٦٨ ـ وفاء الوفا، لنورالدين علي بن أحمد السمهودي (ت ٩١١)، تحقيق محمّد محيي الدين عبد المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٩ ـ وفيات الأعيان، لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن خلّكان (ت ٦٨١)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٣٩٨.